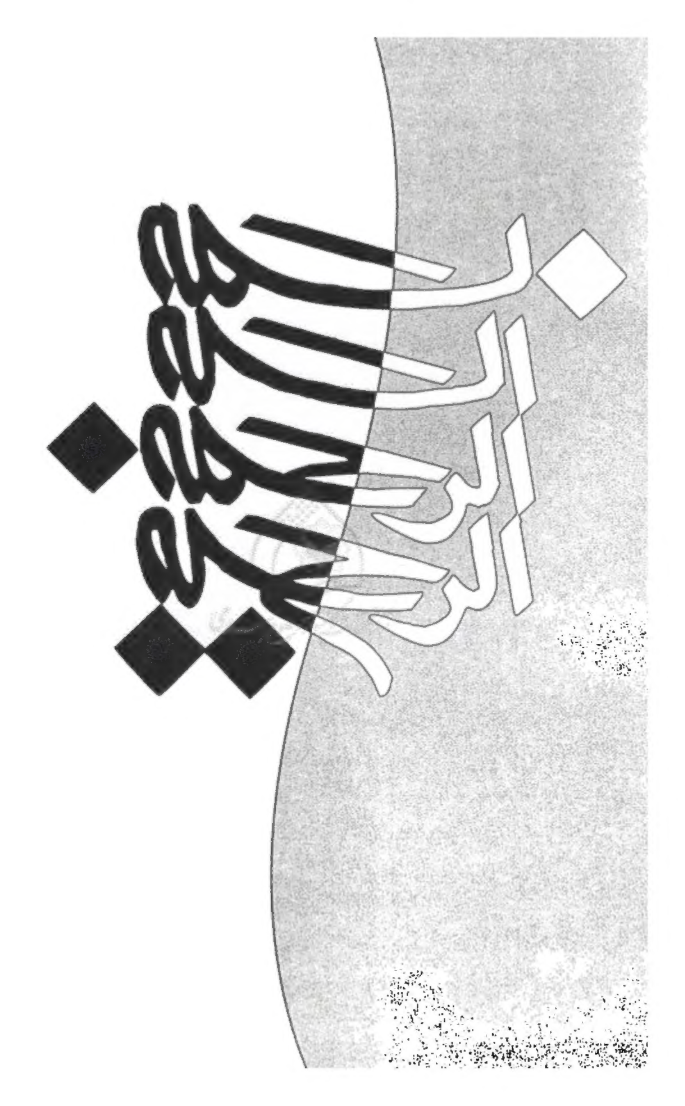


ذكريات من حياة

آية الله العظمى مكارم الشيرازي دام ظله

سرّ النّجاح والموفّقية

إعداد: مسعود مكارم



سرّ النّجاح والموفّقية

ذكريات من حياة
آية الله العظمى مكارم الشيرازي دام ظله

فهرستنويسى پيش از انتشار: توسط انتشارات امام على بن ابى‌طالب عليه السلام.

مكارم، مسعود، ١٣٤٦ ـ
سرالنجاح والموفقية: ذكريات من حياة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازى. ـ قم: دارالنشر الامام على بن ابى‌طالب عليه السلام، ١٤٣١ق = ١٣٨٨.
١٦٦ص. ISBN: 978-964-533-101-4
عنوان اصلى: رمز موفقيت: خاطراتى از زندگى حضرت آيت الله العظمى مكارم شيرازى.
١. مكارم شيرازى، ناصر، ١٣٠٥ ـ ـ ـ سرگذشتنامه. ٢. مجتهدان و علما ـ ـ سرگذشتنامه.
٣. فقيهان شيعه ـ ـ سرگذشتنامه. الف. عنوان
١٣٨٨ BP ١٥٣ / ٥ / م ٧٣ ر ٨٠٤٣ ٢٩٧/٩٩٨

الناشر الأفضل
لمعرض الكتاب الدولي التاسع عشر - طهران

سرّ النجاح والموفقيّة

ذكريات من حياة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي (مدّظلّه)

إعداد: مسعود مكارم
الكميّة: ٣٠٠٠ نسخة
الطبعة: الاولى
تاريخ النّشر: ١٤٣١ هـ.ق
عدد الصّفحات: ١٦٦ صفحة
حجم الغلاف: المتوسط
المطبعة: سليمانزاده
النّاشر: دارالنشر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
ردمك: ٩٧٨-٩٦٤-٥٣٣-١٠١-٤



ايران ـ قم ـ شارع شهدا ـ فرع ٢٢
هاتف: ٧٧٣٢٤٧٨-٢٥١-٩٨+٠٠
فكس: ٧٨٤٠٠٩٩-٢٥١-٩٨+٠٠
www.amiralmomeninpub.com

السعر: ١٥٠٠ تومان

مقدمة

يلقي هذا الكتاب نظرة خاطفة ومـختصرة إلى حـياة شخصية إسلامية مرموقة أوقف حياته الكريمة من اليوم الأوّل للدفاع عن الإسلام ومقارعة الانـحرافـات الفكـرية والأخلاقية، وبذل ٦٠ عام من عمره الشريف في سبيل إبلاغ كلمة الحقّ ونشر المعارف الإسلامية والمكارم الأخـلاقية لمدرسة أهل البيتعليهم السلام المباركة.

وقد اقترنت حياته الشريفة بالموفقية الكاملة في مجال طلب العلم مع بروز علائم الذكـاء والنـبوغ المـبكر عـليه واستعداده الوافر وهمته العالية واستقامته الفريدة، وواجه الظلم والاستبداد بقلمه الشيق وبيانه الجذاب ولم يأخذه في هذا السبيل لومة لائم في الله ولا دخله الخـوف مـن مخالفة الأعداء ومناوئة الظالمين واستمر في طريقه مـع

كثرة المحرومية والمخالفة، والنفي ومواجهة الأخطار المحدقة به حتى وصل إلى حافة الشهادة وبذلك استطاع ترسيخ دعائم الحقّ والحقيقة.

لقد أصبح قلم هذا النجم الساطع أفضل من دماء الشهداء، وبتأليفه أكثر من مائة وأربعين كتاباً قيماً في مجالات مختلفة من الفقه والأصول وتفسير القرآن الكريم والفلسفة والكلام والأخلاق وشرح نهج البلاغة وسيرة أهل البيت عليهم السلام وشرح الأدعية و... وبذلك كان نبراساً للشريعة الإلهيّة ومتراساً للأمّة المرحومة.

إنّ هذا المجاهد العظيم أدرك مقتضيات الزمان، واستطاع في مجلس خبراء الدستور أن يكون له دور هام في تصويب أنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام هو المذهب الرسمي للبلد، وبذل جهداً كبير في طرد الفرقة الضالّة المختلقة مثل البهائية، وانتخب من قبل علماء الحوزة العلمية في مدينة قم مديراً للشورى في الحوزة العلمية، وقام بإصلاح الأمور المتعلقة بهذه المؤسسة الدينية.

وقدّم سماحته خدمات عظيمة في إحياءه لمجلة مكتب الإسلام والتي قدمت بدورها خدمات جليلة في مجالات الثقافية والتربوية للطلّاب، وكذلك قام بتأسيس «مركز

تخصيصي للتفسير» و«مؤسسة فقه أهل البيت﵈» و«مركز معرفة الشيعة» و«دار القرآن الكريم» و«دار المبلّغين» و«بناء مساجد ومدارس وبيوت للمحرومين في المناطقة المحرومة في البلاد» و«تأسيس مكتبة ودار الزوار للإمام الرضا﵇» و«مؤسسة انترنيتية» وخدمات خيرية وصحية كثيرة لطلّاب الحوزة العلمية، وكذلك مراكز علوم القرآن للمستضعفين، والسجناء، وقنوات شيعية و.... وفي هذا الطريق لمن يشعر بالتعب والنصب أبداً وقدم بذلك أفضل الخدمات للأمّة الإسلامية.

وقد نال هذا الفقيه والعالم المتبحر والمتخرج من مدرسة أهل البيت﵈ وسام الاجتهاد المطلق من كبار الفقهاء والمراجع في النجف الأشرف وكان عمره الشريف حينئذٍ ٢٤ سنة من عمره الشريف، وأسس حوزة دروسه العلمية بحضور أكثر من ألفين من العلماء والفضلاء طلّاب العلم والمعرفة حتى أصبح محفل دروسه العلمية من أكثر المحافل ظهوراً وإقبالاً.

... وهو أب رؤوف وعطوف بذل جهداً كبيراً لمساعدتي في واقع الحياة لكسب مراتب الكمال والعلم.

هذا الكتاب مجموعة من الذكريات الحلوة والمرة التي

مرّت على المرجع الديني الكبير «سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي (مدّظلّه العالى)». وتتجلّى نورانـية هـذه الذكريات في عظمتها وأهدافها النيرة لكـي تكـون أُسـوةً ومناراً للجميع لنيل السعادة والأهداف الإلهيّة والإنسانية المقدّسة، وبذلك نحن نغتنم الفرصة ونجلس لكي ننصت إلى هذه الذكريات الشيّقة ونصغي إليها بكل وجودنا.

ولا يسعني إلّا أن أشكر سماحة الشيخ هاشم الصالحي بما بذله من جهدٍ مشكور في تـرتيب الكـتاب ونـقله إلى اللغة العربية فجزاه الله عن الاسلام خيراً.

مسـعود مكـارم

الصيف ٢٠٠٩

ولادته

ولدت في مدينة شيراز في سنة ١٣٠٥ الهجري الشمسي من شهر اسفند[1] ومن عائلة دينية ومذهبية أصيلة. كان جدّي «الحاج محمد كريم» (ابن محمد باقر) يرتدي العمامة أيضاً. ولكنّه في أثناء عمله في السوق كان يلبس قبعة على رأسه. وقد اشتغل موظفاً أيضاً في «سوق الجمارك» في شيراز ثم في «سوق وكيل» كتاجر في مدينة شيراز. وكان ملتزماً بالاشتراك في صلاة الجماعة في مسجد «مولاي» في شيراز وكانت له علاقة وطيدة بالمرحوم أية الله العظمى الحاج الشيخ محمد جعفر المحلاتي؛ وكذلك كانت له علاقة بآية الله الحاج السيد محمد جعفر الطاهري. وكان لي من العمر أربع سنوات عندما جاء الخبر بوفاته في الحمام العمومي بالسكتة. وأتذكر تلك الفترة جيداً وما كان يحوطني به من رعاية ومحبّة في زمان حياته.

---

١. الشهر الأخير من السنة الهجرية الشمسية.

وكانت جدّتي لا تعرف القراءة والكتابة ظاهراً ولكنّها على درجة عالية من الذكاء وقوّة الحافظة، حيث كانت تذهب باستمرار إلى مجالس الوعظ وتستمع إلى أصحاب المنبر وتحفظ ما يقولونه، وعندما تعود إلى البيت تحدثني بما سمعته من الأحاديث والروايات الشريفة من أصحاب المنبر، وكنت أحفظ مقداراً كبيراً منها منذ أيّام الطفولة بسبب علاقتي العاطفية الشديدة معها، فكنت أسمع منها قصص الأنبياء والأولياء، وتدريجياً أصبحت علاقتي شديدة بالمسائل الدينية، وكانت جدّتي على اطلاع كبير بمسائل الطب القديم وتحدثني عنها، وأتذكر جيداً أنّ جدّتي كانت تأخذني دائماً إلى المسجد، وهكذا تعلمت الذهاب إلى المسجد منذ الطفولة.

وعندما كان لي من العمر ثمان سنوات كنت أذهب إلى مجالس الوعظ والإرشاد وكنت أشعر بلذة كبيرة في الاستماع إلى المواضيع الدينية.

فقد كان جدّي الأكبر «الحاج محمد باقر» الذي لم أره في حياتي رجلاً متديناً ومحبّاً لأهل البيت عليهم السلام وللتشيع، وكان من تجار مدينة شيراز حيث كان يشتغل بالتجارة في محلة «سراي نو» في شيراز وكان يرتدي لباساً شبيهاً بلباس رجال الدين ويحضر باستمرار في صلاة الجماعة في مسجد «مولاي» في شيراز حيث كان يتمتع باحترام كبير من قِبل الناس.

وفي الجملة كانت أُسرتي تعشق مذهب أهل البيتعليهم السلام وتتعاطف بشدّة مع مذهب التشيع رغم كون جدّي ووالده ليسوا من رجال الدين ولا من أبناء العلماء.

كان لوالدي علاقة شديدة بتلاوة القرآن الكريم، فمنذ دخولي إلى المدرسة الابتدائية كان يدعوني أحياناً إلى غرفته في بعض الليالي ويقول لي: «يا ناصر، اقرأ لي من كتاب الآيات المنتخبة وترجمتها ـ وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الآيات الكريمة التي اختارها بعض العلماء لغرض تدريسها في المدارس الدينية في زمان الشاه رضا خان ـ وكنت بدوري أقرأ هذه الآيات وترجمتها له وكان يسرّ بذلك كثيراً».

أقدم قصية في ذاكري في مرحلة الطفولة

إنّ أقدم ما أتذكره من طفولتي هو ما يتعلق بمرضي في ذلك الوقت حيث أتذكر أنني مرضت مرضاً خفيفاً ونمت في المهد، وكان الفصل شتاءً وكان سريري يقع في زاوية من باحة البيت، وفي وسط الباحة هناك حوض نملؤه من ماء البئر، ولكن بما أنّ ماء الحوض قد تنجس ولا يمكن تطهيره بماء الدلو الذي يستخرج من البئر، وكان حل هذه المشكلة أن يتمّ إفراغ بعض ماء الحوض، ثم يملاؤون ظرفاً كبيراً من الجلد يدعى بالكر «وهو بمقدار كر واقعاً» ثم يتمّ افراغه في

الحوض ليختلط ماؤه بماء الحوض ويطهر الجميع «وبـالطبع فـانني أفهم الحالة هذه ولكنني في ذلك الوقت كنت اذكرها بصورة ضبابية» وأخيراً تمّ ملْ الظرف الجلدي بالماء من البئر وأفرغوه في الحوض فامتلأ الحوض بالماء وفاض من جوانـبه وجـرى المـاء إلى تـحت سريري وكنت أرى كل هذه الأُمور وثبتت في خاطري بحيث أنني أتذكرها جيداً وكأنّ القضية حدثت بالأمس.

ꕤ

الدراسة والتدريس

بداية الدراسة

عندما كان لي من العمر أربع أو خمس سنوات كنت أذهب إلى المدرسة الابتدائية، وبما أنّ سني لم يكن يسمح لي بالدراسة الرسمية، لذلك كنت أشترك في دروس مقدّماتية في مدرسة تدعى «زينة» في شيراز، ولكنني في نفس تلك الدروس كنت أستوعب التعليمات بصورة جيدة، ولذلك تمّ ارتقائي إلى الصف الثاني ومرحلة أعلى بدون مراعاة سلسلة المراتب المفروضة وبهذه الصورة قطعت مراحل الابتدائية والثانوية.

العشق للإمام صاحب الزمان

لا أتذكر بالدقّة كم كان لي من العمر عندما شعرت بالعشق الشديد لمعرفة الله وأولياء الدين وخاصة الإمام صاحب الزمان (عج)، ولعلّه

كان لي من العمر اثنتا عشرة سنة حيث كنت أشعر دائماً بأنني أبحث عن ضالتي، وينبغي عليَّ البحث عنها والعثور عليها، فتوجهت إلى المسجد واشتركت في مجالس الوعظ والإرشاد وكنت أزور مرقد «شاه چراغ»[١] في شيراز ولكنني لم أعثر على ضالتي، وكانت لي دعوات ومناجاة مختلفة ولكنّها لم تكن تروي عطشي إلى الغاية المنشودة، وصارت علاقة شديدة بالعبادة ولكنني لم أكن أُدرك في هذا العمر الطفولي مضمون العبادات، وأحياناً كنت أحتاج للذهاب إلى الحمام ولكن بما أنّ البيوت في ذلك الزمان تفتقر إلى الحمام وكنت أشعر بالخجل «ولم أكن أرغب أن آخذ نفقة الحمام من أبي وأمي، وأساساً الأولاد في عمري كانوا يتوجّهون إلى الحمام مع أبائهم» فاضطررت إلى الذهاب إلى خارج المدينة في محلة «قصر سعدي» حيث يمرّ من هناك غدير للماء ولعله يبعد عن منزلنا فرسخ واحد فكنت أغتسل هناك بذلك الماء وأعود إلى البيت، ولكنني كنت أشعر بالرضا والاطمئنان النفسي والقلبي، وعندما دخلت سلك طلّاب العلوم الدينية ازدادت هذه الحالة واشتدّت أكثر من السابق.

ജ഼

١. شاه چراغ أحمد بن موسى الكاظم أخو الإمام الرضا عليه السلام، ويعتبر من أولاد الأئمة المعروفين في مدينة شيراز حيث يأتي الناس لزيارة مرقده الشريف من مناطق قريبة وبعيدة.

بداية الدروس الدينية

في المرحلة التالية دخلت مدرسة «خان» في شيراز وكانت من المدارس القديمة والكبيرة جدّاً وكانت محل تدريس وتحصيل الفيلسوف الكبير صدر المتألهين الشيرازي، بدأت بدراسة جامع المقدمات وشرح الأمثلة وكان استاذي فيها المرحوم رباني الشيرازي، وقلت له إنني لا أمتلك كتاب جامع المقدمات، فلو أنّك أعرتني هذا الكتاب ليوم واحد لأقرأه وأقرأ كذلك الأمثلة وشرح الأمثلة وأتقدم للامتحان، فقدم لي الكتاب وبدأت بقراءته جميع ساعات الليل والنهار وتوجهت إلى الامتحان في الغد ونجحت فيه وتمّ ارتقائي لمرحلة أعلى.

ولم أكن قرأت كتاب الصمدية من بين كتاب جامع المقدمات إلى ذلك الوقت في حين أنّ هذا الكتاب يعتبر من أصعب كتب جامع المقدمات، فعزمت على حلّ الإشكال بمطالعة الصمدية وانتهيت من مطالعته في أقل من يومين (٣٦ ساعة) واستطعت أن أُجيب عن سؤال الاستاذ وشرحت له عن قراءتي للكتاب، فتعجّب كثيراً وشوقني.

وأذكر هذه الملاحظة الشيقة وهي أنني بعد اتمام جامع المقدمات في مدرسة خان جاء المرحوم آية الله موحد يوماً إلى دكان والدي، وكان الفصل فصل الصيف حيث كنت اشتغل في دكان والدي الذي كان يعمل في حياكة الجوارب، فالتفت إلى والدي وقال:

تعال واجعل هذا الولد (ناصر) وقفاً للإمام صاحب الزمان‌عليه السلام، فقبل والدي بالرغم من أنني كنت أُساعده في كثير من أُمور المتجر، وبذلك أرسلني مع الشيخ موحد إلى الحوزة العلمية في مدرسة آقاى بابا خان.

وقد شرعت بالدراسة الحوزوية على يد أُستاذي الهمام «آية الله موحد» من أوّل كتاب السيوطي إلى آخر الكفاية بمدّة أربع سنوات، هذه الدروس التي تستغرق الآن في الحوزات العلمية مدّة عشر سنوات، وعندما أتممت درس الكفاية كان لي من العمر سبع عشرة سنة وكنت في شيراز حينما بدأت بكتابة حاشية مضغوطة على الكفاية.

العشق الوافر لطلب العلم

كنت أدرس ليل نهار، في الصيف والشتاء، في شهر رمضان ومحرم وصفر ما عدا يوم الجمعة وبعض أيّام التعطيل المهمّة (ثلاثة أيّام في السنة)، ولم يكن اهتمامنا في المدرسة سوى المطالعة والتدريس، وكان عشقي يزداد ويشتدّ يوماً بعد آخر، وكنت كلما درست أكثر لا أشعر بالرضا في نفسي فكنت أضغط على أُستاذي أن يدرسني أكثر، ولكنّه لم يكن يقبل بذلك، ولعله كان يتصور أنّ الصبي الذي له من العمر ثلاث عشرة سنة لا ينبغي له أن يدرس كل هذه الدروس ويضغط على نفسه وأعصابه فيصاب بالذبول والضعف بسرعة،

ويواجه الخطر في مستقبله، ولكنني كنت دائماً في صراع معه لأكسب منه دروساً أكثر وكان هو يسعى أكثر بأن لا أدرس أكثر من اللازم، وكان الحقّ معه ولكن الشخص العاشق لا يذعن لهذه الأقوال بسهولة.

ولعلّكم لا تصدّقونني بل إنني بدوري لا أكاد أُصدق بأنني في تلك الأيّام شرعت بتدريس المراحل البدائية من المقدمات وأحياناً كـان لي في تلك المدرسة ثمان جلسات للتدريس في يوم واحد مـضافاً إلى دروسي والمباحثات التي كنت أُجريها مع إخواني، ومع أنّ بيتنا في شيراز لم تكن تفصله عن المدرسة فاصلة كبيرة فإنني قلّما كنت أذهب إلى البيت بل كنت أبقى ليل نهار في المدرسة مشتغلاً بالمطالعة والدرس إلى وقت متأخر، حيث كان لدينا في ذلك الوقت مـصباح نفطي، وفي أحد الليالي ملكني النوم وأنا في أثناء المطالعة وانـقلب المصباح فلما استيقظت في الصباح رأيت نفسي وكتبي كلّها سـوداء والمصباح منطفىء، وقد شملتني رحمة الله أنّ الغرفة لم تحترق. ولم أكن أهتم لنوع الغـذاء إطـلاقاً، وأسـاساً فـإنّ حـالة الطـلاب فـي ذلكالوقت كانت أشدّ صعوبة من الحالة في هذا الزمان، فـقد سـبب مجموع هذه الأُمور أن أُصاب بالضعف والذبول في بدني ولكنّ حرارة العشق لطلب العلم كانت تعوّض تلك الخسـارة.

الهجرة إلى مدينة قم

في بداية دخولي إلى قم كنت في ضائقة مادية شديدة في حياتي،

وأنا أكشف هذه القضية لاخواني الطلّاب لكي يشكر الطلّاب الشباب حالهم الفعلي ويتعاملون مع واقعهم المعيشي من موقع الرضى والشكر: عندما هلّ وحلّ شهر رمضان واتفق أنّ الفصل كان فصل الصيف وكنت أنا ورفيقي في الغرفه صائمين ولكن ربّما لم يكن لدينا لوقت الافطار حتى قرص واحد من الخبز. فقال لي رفيقي: أنا ذاهب للعمل لعلي أجد قوتاً يمنعنا من الموت. ولكنه لم يعثر على عمل، ولعله باع بعض كتبه الدرسية ليوفر لنا بعض الخبز. لقد كان ذلك امتحاناً إلهياً فبالرغم من طول مدّة الحرمان الذي عشناه ولكن بحمد الله انتهى بموفقية ورزقنا الله الفسحة واليسر بعد ذلك.

الاشتراك في دروس آيات العظام في قم

في بداية شبابي (كنت في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة) وكانت مشاركة الطالب في مثل هذا العمر في درس آية الله العظمى البروجردي‏ الذي يعد من أساطين الحوزة ـ وكان يشترك في هذا الدرس أُستاذي آية الله العظمى الداماد وآية الله العظمى الكلبايكاني وكذلك الإمام الراحل‏ ـ أمراً عجيباً ولا سيما أنني كنت أتجرأ أحياناً وأطرح إشكالاً على الأُستاذ في أثناء الدرس، فكانت ظاهرة عجيبة للطلاب في ذلك الوقت بحيث كان البعض يقول: كيف يتجرأ هذا الغلام الشيرازي ويسمح لنفسه بأن يطرح إشكالاً في مثل هذا الدرس الكبير.

الهجرة إلى النجف الأشرف

ونظير هذا الحرمان الشديد أيضاً ما كنت أعيشه عندما كنت في النجف الأشرف، فكنت آخذ الخبز دَيْناً من الخباز إلى أن شعرت بالخجل الشديد منه، وكنت في بعض الأيام أحتاج إلى الحمام ولكنني لم أكن أملك النقود الكافية لدفعها إلى الحمامي، فاضطررت أن أدفع إلى الحمامي ساعتي الزهيدة الثمن كوديعة عنده إلى أن أحصل على المال، ولعله فهم حالتي فلم يقبل بالساعة وقال: أعطني المبلغ فيما بعد.

ولكن من الواضح أنّ مثل هذه الحوادث والامتحانات لمن يسير في خط الطاعة والايمان والعبودية لله تعالى تمثل ألطافاً إلهية خفية بحيث تلفت نظر الإنسان من جهة إلى الذات المقدّسة، ومن جهة أُخرى تقوي فيه روح المثابرة والمقاومة والصبر والاستقامة، إنّ مثل هذه الأُمور عبارة عن بوتقة اختبار لتنقية روح الإنسان من الشوائب، وأخيراً انفتحت الأبواب وزالت الموانع وتيسرت الحالة المالية.

إنني أسعى مهما أمكن أن أُقلل الاستفادة من بيت المال، ولهذا السبب فانني في حياتي السابقة كنت أعتمد في تأمين مواردي المالية على التبليغ في أيّام شهر محرم وصفر وشهر رمضان المبارك، والبعض منها استلمه كحقوق ولكن بعد أن راجت تأليفاتي فإني أستلم (حقّ التأليف) من الناشرين لتأمين نفقات حياتي ومعيشتي، وأخيراً لم أكن أقبض حقوقاً شهرية من المراجع، وحتى في هذه

المرحلة وهي مرحلة المرجعية فكـذلك أعـتمد فـي تأمـين نـفقات معيشتي من حقّ التأليف لكتبي ومؤلفاتي.

بعد مجيئي إلى النجف الأشرف ومن خلال مشاركتي في بحوث الخارج للأساتذة الكبار والآيات العظام أمثال آية الله العظمى السيد عبدالهادي الشيرازي، وآية الله العظمى السيد محسن الحكيم، وآية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي،آية الله العظمى الآمـلي وبـعد فـترة وجيزة وبسبب طرح أسئلة متعددة أصبحت يشار إليّ بالبنان واهتم الأساتذة والعلماء بي ومنحوني حبّهم ورعايتهم بحيث إنني استطعت أن أحصل على إجازة الاجتهاد في سن الرابعة والعشرين من عمري من مرجـعين كـبيرين فـي ذلك الوقت، أحـدهما: آيـة الله العـظمى الاصطهباناتي الذي يعد من المراجع الكبار ويعتبر شيخ الفقهاء فـي ذلك الوقت، وقد بذل لي رعايته ولطفه كثيراً ولذلك كتب لي الإجازة بالاجتهاد الكامل، والآخر آية الله العظمى الحاج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وبما أنّه لم يكن على اطلاع بحالي وتحصيلي الدراسي طلب أن يمتحنني، فقبلت ذلك، فطلب مني أن أكتب له رسالة فـي مسألة: هل أنّ التيمم مبيح للصلاة أو رافع للحدث؟ فكتبت له رسالة مفصّلة في هذا الموضوع وعرضتها عليه، ومضافاً إلى ذلك أجرى لي الشيخ كاشف الغطاء امتحاناً شفوياً أيضاً وسألني عن أعقد مسألة من مسائل العلم الاجمالي، فعندما أجبته عنها كتب لي إجازة الاجـتهاد ومنحني كل الحبّ والرعاية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجاز للعلماء من مواهبه ما أجاز وصلى الله على محمد وآله مجاز الحقيقة وحقيقة المجاز

وبعد فقد شهد عندي بعض الأعلام من أهل الدين والمعرفة وثبت بشهادتهم أن جناب العالم الورع التقي الشيخ ناصر مكارم الشيرازي أيده الله من جد وكد وصرف شطر عمره في تحصيل المعرفة بعقائد آل محمد صلوات الله عليه وعليهم والتضلع بطريقة مدارك الأحكام واستنباط أحكام الفروع من الأصول والقواعد المقررة عند أساطين الفقهاء رضوان الله عليهم وحاز بالجد وقوة الاستعداد ملكة الاجتهاد مع ورع وسداد واعتدال واستقامة وعزة وكرامة زاده الله في توفيقه ونفع به إخوانه المؤمنين بدعاء

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

صدر من مدرستنا العلمية ١٣٧٠ بالنجف الأشرف ٩ شعبان المعظم

بسمه تعالى

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد واهل بيته الطيبين الطاهرين واللعن على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين وبعد فان جناب العالم العلام مصباح الظلام مروّج الاحكام ثقة الاسلام الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام فضله العالي ممن صرف عمره الشريف شطراً صالحاً من الزمان في تحصيل المعارف الدينية والعلوم الشرعية وحضر الابحاث الاصولية والفقهية حضور فحص وتحقيق مجداً باحثاً حتى بلغ بحمد الله تعالى الى رتبة الاجتهاد فله العمل بما استنبط من الاحكام ويحرم عليه التقليد فيما اجتهد فيها وله التصدي لما يتصدى له المجتهدون العظام وان يروي عني كلما صحت لي روايته من كتب الاخبار المعتبرة لاسيما الكتب المشهورة التي عليها المدار واوصيه بما اوصاني به مشايخي العظام من سلوك جادة الاحتياط وان لاينساني من صالح الدعاء في مظان الاستجابة ...

العودة من النجف الأشرف إلى قم

كنت أعيش في النجف الأشرف ألم الغربة والبعد عن الأهل والأقرباء والأصدقاء في ايران وخاصة في شيراز وقم، ولكن مجاورة الإمام علي‌عليه السلام وخاصة زيارة مسجد الكوفة وأحياناً السفر إلى كربلاء مشياً على الأقدام في أيّام العطلة التي كانت مليئة بالأجواء المعنوية والروحانية كانت تزيل من حواسي الملل وألم الغربة... ولكنني كنت أُواجه بعض الأُمورالتي لم تسمح لي البقاء أكثر من ذلك إلى جوار الإمام علي‌عليه السلام:

أولاً: الجو الحار جدّاً في النجف في أيّام الصيف بحيث إنّ أحد الأصدقاء صنع لنا الشاي في أحد أيّام الصيف بحرارة الشمس، وأحياناً تصل حرارة الجو إلى درجة أننا عندما نريد تقبيل ضريح أميرالمؤمنين‌عليه السلام نشعر بالحرارة تماماً، ولم أكن أتحمل الحرارة الكثيرة لأنني كنت أُصاب بالرعاف أحياناً من شدّة الحر.

ثانياً: كانت شدّة الاختلافات، التي كانت تصل أحياناً إلى الأزقة والشوارع تؤلمني بشدّة.

ثالثاً: والأهم من ذلك أنّ الأجواء الدينية السائدة في العراق كانت مؤسفة للغاية في ذلك الزمان، وقد تلوثت النجف الأشرف ـ التي تعدّ مركزاً كبيراً للشيعة ـ بسبب نفوذ الأجانب حيث كان الإفطار العلني في أيّام رمضان وترك الصلاة شائعاً بين الناس حتى أنّهم يلعبون

القمار إلى جوار الصحن الشريف للإمام علي‍ وصحن الإمام الحسين‍ في المقاهي، وبدأ السفور تدريجياً بين النسوة وشاعت المفاسد الأخلاقية. أمّا مدينة بغداد مركز النواب الأربعة للإمام صاحب الزمان‍ ومدفن هؤلاء العظماء، فكانت قد غرقت بالفساد بحيث إنني ولمدّة طويلة نسبياً عندما كنت في العراق فكرت مرّات عديدة بزيارة قبور هؤلاء العلماء الأربعة، كما كان الجميع يتشرّفون بزيارتهم ولكنني كنت أمتنع عن ذلك لئلا أُواجه مظاهر السفور في هذه المدينة وأبتلي بالتلوث بالذنب، ولهذا خرجت من العراق في حين أنني كنت أعيش أمل البقاء فيه، وعلى أيّة حال فانّ هذه الأُمور أدّت إلى عودتي مجدداً إلى الحوزة العلمية في قم في شعبان سنة ١٣٧٠ هـ ق وإقامتي في هذه المدينة.

مرحلة البلوغ ومشكلة الوسواس

وفي مقام الجواب عن السؤال الثاني يمكن القول إنّ أحد أسباب نمو وتفتح الابداع والابتكار في الإنسان يكمن في حصول الشك بل الوسواس في كل مسألة من المسائل التي ترد على ذهن الإنسان.

لقد واجهت في بداية دخولي إلى الحوزة وسواساً عجيباً في جميع الأبواب وبدأ ذلك من مسائل الطهارة والنجاسة ثم اتسعت دائرة هذا الوسواس تدريجياً وشملت جميع الأبواب الفقهية.

وامتدت ظاهرة الوسواس حتّىٰ أنني عندما أتـذكرها الآن فـانّها تثير الضحك.

الآثار النفسية والبدنية للوسواس:

في هذه المرحلة تحملت متاعب وآلاماً كثيرة وكنت أشعر بالهزال والذبول يوماً بعد آخر، وأفكر باستمرار في حالتي الوخيمة حيث كنت أشعر أنني غريب عن الجميع وأنّ الجميع غرباء عني، وكنت أتصور أنني أعيش في عالم يختلف عن العالم الذي يعيش فـيه الآخـرون، وكنت أشعر بالرغبة في الصلاة ولكن ما تنفع الصلاة! كنت أُريـد أن يجيبني أحدهم عن مجموعة الأسئلة والإشكالات التي تـدور فـي ذهني عن المبدأ والمعاد وأُصول الدين وفروعه، وعندما اشتدّ ضغط هذه الأفكار عليَّ كنت أخلو أحياناً لوحدي وأجهش بالبكاء متوسلاً إلى الله تعالى أن يفتح لي أبواب معرفته وينقذني من هذا الوسواس، كان قلبي يحبّ الاستيقاظ آخر ساعة من الليل لأُصلي فيها صـلاة الليل وأُناجي ربّي ولكن الاستيقاظ في هـذه السـاعة لشـاب مـثل عمري كان صعباً للغاية، فقررت شراء ساعة لتوقظني بصوت جرسها، وكان أحد تلامذتي ولعله كان يعمل في حانوت لبيع السـاعات قـد جاءني بساعة ذات جرس وقال: إنّ قيمتها ثلاثة عشر توماناً، فما كان مني إلّا أن أعدتها إليه باحترام لأنّ حقوقي الشهرية لا تتجاوز ثلاثة

تومانات للشهر الواحد، يعني (ثلاثين ريال) في ذلك الوقت، وعليه فلا يمكنني شراء ساعة بهذا المبلغ.

إنّ هذا التعب والألم بالرغم من شدّته إلّا أنّه لا يخلو من بركات كثيرة أيضاً، حيث أجبرني على مطالعة كتب الأعاظم والعلماء في دائرة العقائد والكلام والتدقيق في أدلتهم والتدبر والتأمل في الآيات القرآنية والروايات الشريفة، ولعل هذه المعارف أصبحت بمثابة رأس مال فكري لما سأقوم به من تأليف وتصنيف لكتب كثيرة في أصول الدين لاحقاً.

جذور الوسواس وعلاجها

أنا أعتقد أنّ بعض هذه الظاهرة تعود إلى خصوصية معينة في مرحلة البلوغ التي كنت أقترب منها، ومعلوم أنّ مرحلة البلوغ تمثّل مرحلة الاستقلال الفكري، والشخص في هذه المرحلة يودّع التقليد والتبعية للآخرين، ولذلك فلو افتقد التعليم الكافي فمن الطبيعي أن يبتلئ بالوسواس.

والقسم الآخر من الوسواس يمثّل افرازات لحالة الجهل لعدم الاطلاع على المسائل الفقهية في دائرة الطهارة والنجاسة، والحلال والحرام وأمثال ذلك، فلو أنّ المكلّف تعلم هذه المسائل جيداً فسوف يتخلص من هذا النوع من الوسواس.

وهناك قسم آخر من الوسواس يتفرع على حالة الفراغ والبطالة، فلو أنّ الإنسان وجد له عملاً فإنّه سيغفل عن ذلك الوسواس، ولم أكن وسواسياً من القسم الثالث قطعاً لأنني كنت أشتغل أكثر من اللازم، ولكنني كنت أقترب من مرحلة البلوغ الفكري والنضج العاطفي، ووقفت في مقابل عشرات أو مئات علامات الاستفهام التي دارت في ذهني من دون العثور على جواب مقنع، هذه الحالة استمرت بعد البلوغ إلى ما بعد سن العشرين وكانت تؤرقني كثيراً.

وعلى أيّة حال لقد وجدت في نفسي أنني أعيش عاصفة فكرية وطوفاناً في روحي واستمر هذا الحال لسنوات عديدة ولكن لم تمنع هذه الحالة استمراري في الدرس والبحث بل بالعكس كنت أحسّ بالنشاط في الدرس والاهتمام بالاشتغالات الفكرية التي كانت تسكّن ما أشعر به من اضطراب النفسي.

في المدّة التي كنّا فيها في النجف استمر الوسواس في ما يتعلق بالمعارف والعقائد والأعمال ولكنّه خفّ تدريجياً حيث استمرت مطالعاتي في أبحاث مختلفة لاسيّما في بحوث الولاية والاستفادة من الكتاب القيم: «الغدير» واستمر دعائي وتوسلي لتطهير قلبي من الوسواس حتى حصلت على هدوء نسبي في وجودي، ثم توصلت بعد ذلك إلى هذه النتيجة وهي أنّ وجود نوع من الوسواس يعدّ جزء من طبيعة الاستدلالات البرهانية والنظرية وحتى أنّ أقوى أنواع

الاستدلال في المسائل الاعتبارية والنظرية لا يمكنه إزاحة قسم من الوسواس. وإنّما طريق معالجة هذا المرض ينحصر في الوصول إلى «مقام الشهود» أي مشاهدة الحقيقة بعين القلب وإزالة الحجب النفسانية وبالتالي إزاحة ظلمة الوساوس واشراق نور اليقين على القلب.

ولكن إذا تحركنا وقمنا بإزاحة الستار وفتحنا النافذة ورأينا قرص الشمس ظاهراً للعيان في وسط السماء ورأينا أشعة الشمس تدخل إلى الغرفة فلا يبقى مجال للوسوسة.

كرسي التدريس في قم

عندما ودعت النجف الأشرف وحرم الأئمّة الأطهار عليهم السلام بعين باكية وتركت العراق بكل ما يحفل به من حسنات ومشاكل وأقمت في الحوزة العلمية في قم كنت أُمارس عملية التدريس إلى جانب الاستفادة من درس الأساتيذ العظام في هذه الحوزة. وطبعاً لم يكن تدريس العلوم الدينية أمراً جديداً عليَّ حيث شرعت في ذلك منذ السادسة عشرة من عمري حينما كنت في حوزة شيراز. وعندما أتيت إلى قم شرعت بتشكيل درس في الحوزة أيضاً. وكذلك في النجف أيضاً كنت أُمارس التدريس، وأعتقد أنّ التدريس واجب كتحصيل الدرس. فالإنسان حين التدريس يقف على بعض الأُمور وتنفتح له

بعض المسائل المغلقة والمبهمة التي لم يكن يقف عليها أثناء تـلقي الدرس، وعند التدريس يشعر الإنسان بمسؤولية أكثر وأنّه ما لم يفهم الموضوع بصورة جيدة ودقيقة لا ينبغي له طرحه على الآخرين من موقع التدريس.

لقد ازداد رونق أبحاثي ودروسي يوماً بعد آخر بسبب مـعرفتي التدريجية وزيادة تجربتي في فن التدريس الذي يـعتبر فـناً ظـريفاً ودقيقاً جدّاً، فعندما كنت أُدرس الرسائل والمكاسب والكفاية كـنت أرى مجموعة من الطلاب الأذكياء والمستعدين يحيطونني ويجلسون على مقربة منّي.

وأنا بدوري أُوصي جميع الطلّاب والفضلاء أن لا يهملوا عـملية التدريس إلى آخر عمرهم حتى لو كان ذلك لطالب واحد.

ولعل التدريس ينفع الأُستاذ أكثر من الطالب، فـالتدريس يـجبر الإنسان على التحقيق في جوانب المسألة أكثر ويهتم بمعرفة غوامض المسألة. ومضافاً إلى فهم المسـألة ستكون لديه القدرة على تفهيمها، وبكلمة واحدة: إنّ العالم الذي لا يمارس التدريس فإنّه يبتلىٰ بالنقص في معلوماته.

لعل البداية كانت قبل أربعين سنة حين فكرت بتدريس البـحث الخارج وشرعت بتدريس الأصول، ثم البحث الخارج في الفقه وكنت أعيش العلاقة الشديدة بالتدريس وأشعر بلذة كـبيرة مـن تـدريس

الطلّاب وكان التعب يزول عني تماماً وأنا الآن أشعر بـهذا الشـعور أيضاً.

ഊ

تشويق الأساتذة والعلماء

تشويق آية الله العظمى البروجردي ﴿رحمه الله﴾

في أحد الأيّام أشار آية الله العظمى البروجردي في بحث الفقه إلى مسألة «صيد اللهو»، أي أن يسافر الإنسان لطلب الصيد لغرض اللهو، والمعروف بين الفقهاء أنّ الصلاة في هذا السفر لا تكون قصراً بل يتم هذا الشخص صلاته، ولكن قلّ ما يحكم الفقهاء بحرمة هذا العمل، وكنت في ذلك الوقت طالباً صغير السن وجمعت أدلة كثيرة على حرمة هذا النحو من الصيد من كلمات القدماء والمتأخرين وأثبتُّ أنّ صيد اللهو من مصاديق السفر الحرام، بحيث يجب على المكلّف أن يتمّ صلاته فيه. عندما قرأ آية الله العظمى البروجردي ما كتبته في هذا الموضوع سألني متعجباً: هل كتبت أنت هذا الموضوع؟ فقلت له: نعم، وكان هذا الموضوع سبباً لتشويق السيد البروجري ﴿رحمه الله﴾.

تشويق آية الله العظمى البروجردي؛ وكتاب (تجلّي الحقّ):

عندما تمّ طبع كتاب «تجلّي الحقّ» وهو أول كتاب من كتبي قدّمت نسخة منه إلى آية الله العظمى البروجردي؛ وبعد مدّة أرسل إليّ يستدعيني فذهبت إليه، فقال: أنا أشكو من ألم في رِجلي ولم أحضر الدرس لعدّة أيّام فكانت لي فرصة أكثر للمطالعة، ووقعت عيني على كتابك، فقرأت عنوانه «تجلّي الحقّ» وهو يستخدم كثيراً في كلمات المتصوفة، وكان ذلك سبباً في تحرك حس الفضول فيَّ، فتناولت كتابك فقرأته من أوله إلى آخره (وتعجبت كثيراً من روحية هذا الرجل الكبير كيف يقرأ كتاب طالب شاب من أوله إلى آخره، وهذا يكون عبرة لأمثالي في حين أنّ السيد كان يتمتع بمقام المرجعية والزعامة العامة للشيعة)، ثم قال: أنا لم أعثر على أي مورد سلبي في هذا الكتاب، وقال: (إنني أحسست أنّ الكاتب أراد بيان بعض الحقائق عن طائفة الصوفية دون أن يريد التظاهر أو يجمع المريدين حوله) فكانت هذه الكلمات من هذا السيد الجليل قد بعثت في نفسي روح الاعتماد على الله في مسألة الكتابة، ومن هنا أدركت جيداً مدى تأثير تشويق الأساتذة وخاصة الكبار منهم.

تشويق آية الله حجّت؛

ومرّة أخرى كنت حاضراً في درس المرحوم آية الله العظمى

حجّت﴾ فكان أن طرح سؤالاً وفقاً للمنهج الذي يسير عليه، وقال: كل من أتاني بجواب هذا السؤال فسوف أعطيه جائزة بعد الدرس توجّهت إلى المكتبة وبقيت مدّة أبحث فيها عن الجواب حتى عثرت عليه وقدمته للأستاذ، وبعد فترة وجيزة من ذلك تقدّم طالب آخر بذلك الجواب إلى الأُستاذ فقال له: لقد سبقك إلى هذا الجواب شخص آخر. وبعدها أعطاني مائة تومان حيث كان يعدّ في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً (لأنّ الحقوق الشهرية لبعض الطلاب لم تكن تتجاوز ثلاث تومانات في الشهر) بعنوان جائزة تشويقية.

اهتمام الإمام الراحل﴾ وعنايته

إنني بالرغم من عدم التوفيق لحضور درس الإمام الراحل﴾ لأكثر من يوم واحد، ولعل ذلك كان بسبب أنّ درس الإمام كان قد ازدهر واشتدّ في الحوزة العلمية في وقت لم أكن فيه أدرس عند أحد إلّا قليلاً بل كنت أُمارس عملية التدريس غالباً، وعلى أيّة حال كنت ذا علاقة وارتباط كامل بأفكاره من خلال تقريراته وكتبه فكنت مطلعاً على آرائه الفقهية والأُصولية وكنت أُكّن له احتراماً كبيراً وطالما توجهت لزيارته فكان يبذل لي مزيد المحبّة والاحترام ولا أنسى أنني كنت قد امتنعت لأسباب معينة عن الذهاب إلى مجمع المدرسين في

الحوزة العلمية. فأمر الإمام الراحل أحد الأشخاص من أرحامه الذي كان عضواً في المجمع المذكور وقال له: إذهب إلى فلان وقل له أن يرجع إلى مجمع المدرسين، فجاءني ذلك الشخص وبلّغني الرسالة وعدت على أثرها إلى المجمع، وكان ولده المرحوم السيد أحمد الخميني حاضراً في جلسة لبعض الأفاضل وقال لي: إنّ رسائلك التي تبعثها إلى الإمام في مناسبات مختلفة يقرأها الإمام كاملاً (لأنني كنت قد ذكرت في رسائلي أنني لا أعلم ما إذا كان الإمام يقرأ هذه الرسائل أم لا) فقال لي: إنّها تصل إلى الإمام ويقرأها ويكّن لكم احتراماً خاصاً.

تقريظ آية الله العظمى السيد الحكيم

وفي آخر قصّة يحدثنا سماحة الأُستاذ عن حوزة النجف الأشرف، وهي شاهد آخر على نبوغ الأُستاذ وبلوغه أوج النضج العلمي، هو ما تفضّل به صاحب مستمسك العروة الوثقى المرحوم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم الذي يعد من أساطين فقهاء الشيعة حيث كتب لسماحة الأُستاذ تقريظاً وثناءً جميلاً في حاشية دفتر كتاب الطهارة «وهو تقريظ بحث الخارج للفقه للسيد الحكيم وبقلم الأُستاذ» فقد كتب السيد محسن الحكيم ما هذا نصّه:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم وله الحمد والصلاة والسلام على

رسوله وآله الطاهرين، قد نظرت في بعض مواضع هذا التقرير [١] بمقدار ما سمح به الوقت فوجدته متقناً غاية الإتقان ببيان رائق وأسلوب فائق يدلّ على نضوج في الفكر وتوقّد في القريحة واعتدال في السليقة فشكرت الله سبحانه أهل الشكر على توفيقه لجناب العلّامة المهذّب الزكيّ الألمعي الشيخ ناصر الشّيرازي سلّمه الله تعالى ودعوته سبحانه أن يسدّده ويرفعه الى المقام العالي في العلم والعمل، إنّه وليّ التسديد وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمدلله ربّ العالمين».

محسن الطباطبائي الحكيم

٩ / ج ١ / ١٣٧٠ هـ ق

١. المراد من هذا التقرير هو ماكتبه سماحته عن بحث الخارج للفقه لآية الله العظمى حكيم ﷺ، حيث تضمن هذا التقرير نظرات سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي (دام ظلّه) وقد تمّ تصوير الصفحة الأولى من الدفتر الأول لتقريرات سماحته على درس السيد الحكيم والتقرير المذكور يقع في الحاشية وقد أوردنا صورة منه في فصل التصاوير.

بسمه تبارك وتعالى

قال قدس سره: وهو دم يخرج مع ظهور اول جزء من الولد او بعده ... لا اشكال
في كون الدم الذي يخرج بعد تمام الولد دم نفاس ولكن الكلام في الدم الخارج معه [illegible]
ايضا اولا فقد نسب الى [illegible] من الاصحاب انه ليس بدم نفاس كما نسب اليه [illegible]
في [illegible] وثانيا ان تعبيرهم عن دم النفاس بانه الذي تراه المرأة
عقيب الولادة كما هو الظاهر من كونه عقيب تمام الولادة. وهذا الظهور وان كان في
بادي النظر غير تام بل [illegible] الا ان الذي يظهر بعد التأمل انه لا يمكن التعويل عليه و
ذلك لان المحقق قدس سره بعد ان عبر بمثل هذا التعبير في هذه المسألة ذكر انه [illegible]
وقد حكى كلام الشيخ قدس سره في الدم الخارج مع الولادة في المبسوط حيث قال :
وما يخرج مع الولادة عندنا نفاس ثم قال [illegible] بعد ذلك [illegible] بالظهور المذكور
(اقول - ولكن الذي يظهر من المحقق ره في المعتبر انه استفاد الخلاف من كلام السيد
حيث جعله منافيا لكلام الشيخين القائلين بكون ما يخرج مع الولادة دم نفاس ثم قال فانه
لا يخلو من نوع اشكال [illegible]) هذا مضافا الى انه لو كان السيد مخالفا في المسألة لما ادعى
الاجماع على كون الدم الخارج مع الولد نفاسا من الشيخ ره فيما عرفت من كلام المبسوط
مع قرب عهده من السيد وكثرة احاطته وسعة اطلاعه فهذا اكبر دليل على انه لم يرد عدم
اراده من قوله عقيب الولادة عقيب تمام الولادة فلعل مراده عقيب مسمى الولادة
ولو بمجرد خروج [illegible] الولد جزء واحد منه [illegible] الامر [illegible] الذي
يظهر من رواية [illegible] بن موسى عن ابي عبد الله عليه السلام انه [illegible] تمام الولادة

الدين والثورة

ذكريات سبعة أشهر من النفي[1]

أجد من اللازم أن أبيّن لكم أيّها الاخوة الأعزاء ما واجهته في عملية النفي لمناطق مختلفة «چابهار» في الجنوب، و«مهاباد» في الشمال، و«انارك» في قلب الصحراء، والسفر لمسافة سبعة آلاف كيلومتر بين هذه المناطق التي جرى تبعيدي إليها وما حدث لي في مناطق مختلفة في البلاد، وكذلك المحادثات التي جرت مع شخصيات مختلفة من علماء «المذهب الحنفي» في بلوجستان وعلماء «المذهب الشافعي» من الأكراد وشرائح متنوعة من الناس، لكي تتطلعوا من خلال هذه الوقائع على أسباب الاضطرابات الاجتماعية الأخيرة وتعلموا المنبع الأصلي لكل هذه الحوادث

1. ونقرأ مقالة «ذكريات سبعة أشهر من النفي» التي كتبها الأستاذ بقلمه عام ١٣٥٧ هـ.ش وتمّ نشرها في صحيفة كيهان.

المؤسفة وأستأذنكم قبل ذلك في بيان مقدّمة قصيرة في هذا الموضوع ثم أدخل إلى أصل الموضوع، ويشهد الله تعالى أنني لا أكتب لكم إلّا الحقّ والحقيقة وأبتعد عن كل كلام وبحث غير منطقي.

جذور الثورة

إنّ بلادنا تدخل مرحلة حساسة من تاريخها بعد الحوادث والتغييرات التي عاشها الناس في الأشهر الأخيرة بحيث أصبح من المحال الرجوع إلى الوراء بالرغم من وجود عوامل قوية لاعادتنا إلى الوراء (إشارة إلى الحوادث التي وقعت في الاضطربات السياسية عام ١٣٥٦ هـ ش يعني عام قبل انتصار الثورة).

هذه حقيقة جلية وصيرورة تاريخية يجب على الجميع الاعتراف بها.

ومن أجل تتبع علل هذه الثورة ومظاهر التغيير في جميع الأُمور والأبعاد، أو بتعبير البعض: هذه الاضطرابات وعوامل الفوضى، أو كل اسم وصفة نطلقها على هذه الحوادث الأُخيرة حيث ينظر لها البعض من زاوية خاصة، ولهذا السبب لا يتوصلون إلّا إلى نتائج محدودة غير ذات قيمة، لأنّ المعطيات الكبيرة لا يمكن التوصل إليها إلّا من خلال دراسة مستوعبة وكلية لجميع جوانب الحدث وأبعاده.

في البحوث والدراسات المحدودة تحل أحياناً «العوامل الجانبية للحوادث» محل «العوامل الأصلية» ويتمّ إهمال العوامل الأصلية

وتهميشها والتغافل عنها.

فالبعض يضع اصبعه على مسألة «الفساد الاقتصادي واستغلال بيت المال من قبل فئة معينة»، وهم الذين كانوا يوماً ما في مصدر القدرة والمسؤولية. فيرى أنّ العامل الأصلي والسبب الرئيسي للاضطرابات الأخيرة تكمن في هذا العامل، ولكن مع الاعتراف بوجود عنصر الاستغلال وسوء استخدام ثروات بيت المال من قِبل قوى الفساد الاقتصادي بأرقام كبيرة ومذهلة، لابدّ من القول إنّ هذا العامل لا يمكن أن يكون هو العامل الأساس، لأنّ مظاهر الاجحاف والاختلاس من بيت المال كانت مكشوفة لدى فئة خاصة من الناس دون العامة من شرائح المجتمع، وبالرغم من أننا نسمع تدريجياً عن أخبار هذه القضايا، مثلاً نسمع بأنّ أكثر من خمس مليارات تومان يملكها شخص واحد في البلد وأمثال ذلك ممّا يساهم في تعميق حِدّة الخلاف والابتعاد بين الناس من جهة والحكومة من جهة أُخرى، ولكنّ كثيراً من الناس لا يهتمون لهذا الحدث ويقولون ماذا يختلف حالنا فيما لو سرقوا من بيت المال أو لم يسرقوا؟

والبعض الآخر يريد أن ينسحب من التورط في هذه الحوادث، فيرى أنّ العامل الأصلي والسبب الحقيقي وراء ثورة الناس هو الرشوة وسوء المديرية في المراكز الحكومية وعنصر البيوقراطية، في حين أننا نعلم أنّ هذه الظاهرة ليست بجديدة على هذا البلد بل إنّ

جميع الناس منذ سنوات يعلمون بهذه الأُمور ويعترضون علـى ذلك ولكن هذا الموضوع مهما كان مهماً فإنّه لا يبعث على نزول النـاس إلى الشوارع ويضحّون بأنفسهم من أجله.

مضافاً إلى ذلك أنّ الاضطرابات الأخيرة شملت طلّاب المدارس في جميع مناطق البلاد، وهؤلاء ليس لهم علاقة أو رابطة بالإدارات الحكــومية ولا يــعيشون هــموم الفســاد الاقــتصادي والرشـوة والبيروقراطية، إذن لا يـعقل أن يكـون الفســاد الإداري هـو العـامل الحقيقي وراء الأحداث.

أمّا قلّة رواتب الموظفين، مشكلات السكن، مشكلات بعث الطلّاب إلى الخارج، التضخم الاقتصادي، التميز الطـائفي، فـهذه المسـائل، كمسألة الفساد الإداري والفساد الاقتصادي، تمثّل عوامل صغيرة من عوامل هذا «الانفجار الاجتماعي العظيم» بالرغم من أهميّتها، وحينئذٍ لابدّ من البحث عن الأسباب الحقيقية في مكان آخر.

أرجو أن أتمكن في هذه المقالة من بيان مجريات السفر المليء بالحوادث وما رأيته بعيني وما سمعته من أفواه فـئات مـختلفة مـن الناس، أن أُبيّن العوامل الأصلية الكامنة وراء هذه الحوادث الأخيرة.

... كانت ليلة «١٨ ديماه[1]» حيث رنّ جرس الهواتف في قم فقالوا: أيّها المشايخ هل قرأتم المقالة المنشورة في صحيفة اطلاعات بـقلم

---

١. أحدى أشهر السنة الهجرية الشمسية المتداولة في ايران.

رشيدي مطلق «الذي اتضح بعد ذلك أنّ كاتب هذه المقالة لا يتمتع بأدنى رشادة مطلقة»؟

الواقع أنّهم بلغوا في جرأتهم وفضيحتهم إلى منتهى الحدود وأبعد الغايات... فهل ستعطل دروس الحوزة العلمية غداً؟ وغداً صباحاً شاهد الناس تعطيل دروس الحوزة العلمية في قم، ثم تبعها السوق المركزي في قم وتجمع الفضلاء وطلّاب العلوم الدينية في بيوت مراجع الدين اعتراضاً على ذلك وبشكل منظم تماماً، وتبدلت أجواء المدينة بشكل كلي، وعلى هذا الأساس ظهرت بوادر أول شرارة في أجواء مدينة قم، الشرارة التي لم يتصور أحد من الناس أنّها ستكون بهذا الحجم والسعة وتمتد إلى سائر مناطق البلاد بل إلى خارج ايران أيضاً.

لقد تعرضت المقالة المذكورة إلى القائد الكبير والزعيم العظيم سماحة آية الله العظمى السيد الخميني «دامت بركاته» بالإهانة وإساءة الأدب بما لا يمكن لأحدٍ تحمله بدون شك، ولكن المهم أن نعرف أنّ ما وراء هذه الشرارة يوجد مخزن للبارود بحيث يمكن لهذه الشرارة أن تفجر الوضع وتؤزم الحالة، إنّ مجتمعنا يشكو من وجود غدة مليئة بالقيح في واقعه وجسده بسبب سنوات متمادية من الظلم والجور وعدم رعاية العدل ومطالب الناس وأشكال الخلل الأُخرى، وكان يعيش حالة الانتظار لشرارة تفعّل الحالة المتأزمة، وعندما

مست أُبرة الأحداث هذه الغدة المتورمة هبّت جميع أعضاء الجسد الاجتماعي بموازات الحدث وألقت بما في باطنها إلى الخارج.

كان اليوم (١٨ ديماه) يوماً متأزماً ومضطرباً في قم، وقد وعد جميع مراجع الدين أن يعملوا على ردّ هذه الإهانة، وفي اليوم التالي ارتفعت الضجّة وزادت الحالة سوءاً وكثرت جموع الناس، ففي ذلك اليوم كان من المقرر أن يتوجه الناس إلى بيوت أساتذة الحوزة العلمية وهكذا جرت الأُمور، وكنت من جملة من جاء إليهم الناس حيث حضروا إليَّ في مدرسة أميرالمؤمنين وامتلأت باحة المدرسة والشوارع المحيطة بها من أمواج الناس حيث تحدثت إليهم في خطبة قصيرة وتشكرت في البداية من توحد الناس وحضورهم في الميدان بما يمثّل ضربة قوية إلى كاتب المقالة الموهنة ورفاقه ومن معه ومن يشاركه في الفكر، وقلت لهم إنّكم بهذا العمل أثبتم أنّ مثل هذه المقالات والكلمات الجارحة سوف لن تبقى بدون جواب، فلا يظنّون أنّ القضية تنتهي بهذه السهولة.

ثم قلت لهم مضيفاً: إذا هتكت حرمة كبير القوم بمثل هذه الصورة فماذا سيبقى للآخرين من حرمة واحترام؟ فلو تقرر أن نموت فلنمت جميعاً، ولو تقرر أن نحيا فلنحيا جميعاً.

هذه الجملة الأخيرة التي أخذت شكل الشعار لكثير من الناس، كانت أحد المستمسكات المعتبرة في تبعيدي إلى مدينة «چابهار»،

وقد أخذها رئيس جهاز الأمن باعتبار أنّها دعوة للناس للثورة ضد النظام.

وعلى أيّة حال تمّت الجلسة ولكن في عصر ذلك اليوم وعندما كان الطلّاب والشباب يعودون من بيوت الأساتذة والعلماء بكامل الهدوء وحتى بدون إعطاء أي شعار «لأنّ تلك الأيّام لم يكن متداولاً إطلاق الشعارات أو كسر القناني» فوجئوا بهجوم رجال الشرطة عليهم، ولأول مرّة يواجه الناس هذا المنظر وتسفك دماء بعض الناس الأبرياء في شوارع المدينة.

أمّا رجال الأمن في قم فقد أخذوا يهيئون الملف لتبرئة أنفسهم من هذه الحادثة ومن قتل الناس الأبرياء، حيث تمّ تشكيل جلسة «جلسة الأمن الاجتماعي» تحت نظر قائم مقام المدينة وأربعة أشخاص من رؤساء الإدارات وقرروا في هذه الجلسة اعتباري مع ستة أشخاص من السادة في الحوزة العلمية في قم وبعض التجّار المحترمين في السوق، من المحركين لهذه الحادثة. وحكموا علينا جميعاً بالنفي لمدّة ثلاث سنوات «وهي الحد الأكثر لمدّة النفي» وعندما قال لي رئيس جهاز السافاك في قم في غرفته: أنني يجب أن أتوجه إلى المنفى، قلت له: ليت الشخص الذي أصدر هذا الحكم حاضراً هنا.

فقال فوراً: إنّ هذا الشخص هو أنا. (وهنا فهمت معنى مجلس

الأمن الاجتماعي).

فقلت: لماذا تنسبون كل حادثة إلينا، فهذه الحادثة قد صنعتموها أنتم والجميع يعلم بذلك، فهل أنت تفرض نفسك محامياً عن كاتب تلكْ المقالة؟ إنّ إطفاء هذه النار الملتهبة ليس بالعمل اليسير، والمفروض أن تقوموا بتقديم الاعتذار عن تلكالمقالة وتقولوا: إنّ ذلك الكاتب قد أخطأ وسوف نعمل على إصلاح الوضع وجبران الثغرة، فلماذا أطلقتم النار على الناس الذين خرجوا بشكل قانوني اعتراضاً على كاتب المقالة العميل؟ فقال: الواقع أننا لا نعرف ما هو الباعث على كتابة تلك المقالة؟ ومن هو كاتبها؟... على أيّة حال لقد تجاوز الوضع الحالة الطبيعية، تفضل... (إلى محل المنفى).

قلت: أين؟

فقال: سيتّضح لك بعد ذلك.

وفي هذه الأثناء دخل أحد المأمورين إلى الغرفة وقال: سيدي إنّ فلان (وذكر اسم القاضي) لم يوافق على توقيف وسجن الثلاثة الآخرين (ولم يتضح من يقصد بهؤلاء الثلاثة) فقال رئيس السافاك بحدّة وغضب وبدون اهتمام بوجودي كشاهد على ما يقول: ليخسأ هذا القاضي فأنا حكمت بتوقيفهم... وتتجلّى بصورة جيدة الحكومة المطلقة لجهاز السافاك على الإدارات والأجهزة الحكومية، قلت في نفسي: «مرحباً بهذه الحكومة الديمقراطية للسافاك».

أكذوبة باسم حقوق الإنسان

إنّ النقض الصريح والمكرر لحقوق الإنسان في بلدنا وفي تاريخنا المعاصر يعدّ من أسوء الذكريات المرّة في أذهان الناس، ففي حين أنّ المادة الأُولى من الميثاق العالمي لحقوق الإنسان توصي جميع بلدان العالم أن يتعاملوا بينهم بروح الأُخوة والمحبّة، وتؤكد المادة الخامسة على عدم جواز التعذيب أو تنفيذ العقوبات الظالمة والسلوكيات الشائنة على خلاف الشؤون الإنسانية، وأعلى من ذلك أنّ الحكومة الإسلامية التي تمثّل أُطروحة علماء الدين وخاصة الإمام الخميني‌ﷺ تهتم بهذا الأمر غاية الأهميّة، ولكننا نعيش في أجوائنا بحيث إنّ هذه المسألة أضحت أُلعوبة مضحكة وكل يوم نشهد حالات جديدة من نقض حقوق الإنسان بمنتهى الصراحة.

وكنموذج لذلك ما نذكره عن كيفية إرسال المبعدين إلى المنفى بهذه الصورة:

؊؋

كان الوقت ليلاً والهواء بارداً جدّاً وقد أُدلج الليل، وكانت هناك سيارة نقل كبيرة من سيارات الجيش واقفة إلى جانب مبنى الشرطة في«قم» بانتظاري واثنين آخرين من رفاقي، وكانوا قد وضعوا لكل واحد منّا شرطيين مسلحين، وبما أنّ قم كانت تعيش حالة من الهياج والاضطراب فانّهم كانوا على عجلة في اخراجنا من المدينة.

وعندما وصلنا مع ستة من أفراد الشرطة المسلحين إلى مكان (شرطة المرور بين قم وأراك) نزل ثلج كثير ولزم أن نتوقف هناك بعض الشيء لتصل إلينا سيارات خاصة توصل كل واحد منّا إلى مقصد معين.

فطلبنا البقاء في مكان شرطة المرور إلى أن تصل إلينا السيارات التي توصلنا إلى المقصد، ولكنّ الضابط الذي كان يبدو الانزعاج الشديد عليه قال: يجب عليكم البقاء في هذه السيارة، حتى أنّه هددنا بسلاحه الخاص «المسدس».

ولكنّ سقف الشاحنة وجوانبها كانت مشقوقة وممزقة وكانت الرياح الباردة مع الثلوج تدخل إلى داخل الشاحنة بسرعة وفي ذلك الظلام الدامس، ولعل برودة الهواء كانت تصل إلى تحت الصفر، وكان أفراد الشرطة ينزلون على التوالي ويتوجهون إلى مبنى الشرطة لتدفئة أنفسهم، ولكنني أحسست أنّ جلوسنا في الشاحنة يتضمن خطراً كبيراً ومن الأفضل أن ننزل ونسير خطوات في الصحراء وتحت الثلج لئلا يتجمد الدم في عروقنا، ولكنّ الضابط لم يوافق على ذلك، وآخر فكرة طرأت على ذهني هي أن أقوم بتحريك يدي ورجلي في الشاحنة نفسها لأتمكن من المحافظة على حرارة بدني ولئلا تتجمد أعضائي، ولا أنسى أنني كنت أقاسي الآلام لمدّة طويلة بسبب تلك الليلة العصيبة.

وبعد ساعة ركبنا باصاً لينقلنا إلى مدينة إصفهان، فشعرت أنّ الروح تسري في بدني الذي أوشك على الانجماد، واستولى الخوف على المسافرين في الباص عندما شاهدوا الشرطيين المسلحين معي، فتعاطفوا معي وأظهروا لي المواساة بشكل كبير، وهذه الحادثة علمتهم مسائل كثيرة.

وكان الأمر قد صدر أن نتحرك بسرعة ولا نتوقف في المدن، وفي صورة اللزوم يمكننا التوقف في مراكز الشرطة في الطريق والانتقال من سيارة إلى أُخرى، فوصلنا إلى مدينة إصفهان بعد منتصف الليل، وتمّت الموافقة على أن نركب سيارة صغيرة ونتّجه إلى مدينة يزد. فوصلنا في طريقنا إلى مضيق «الملا أحمد» الطويل والشديد التعرجات في الوادي وفي أثناء ذلك نزلت الثلوج الكثيرة وكان الضباب الغليظ مخيماً على الأجواء وقلّما نشاهد سيارة تمرّ من هذا الطريق، ولكنّهم كانوا يصرون على المضي في هذا الطريق فوصلنا إلى مكان بحيث لم نتمكن من اجتيازه ولا العودة منه. والخلاصة نحن في تلك الليلة واجهنا الموت بين الثلوج والضباب الكثيف ولكنّ الله أنقذنا من هذه المهلكة ووصلنا بعد جهد جهيد إلى مدينة يزد واستمرت الحركة والسفر بدون توقف.

ثم إننا في طريقنا بين مدينة بم «ايران شهر» ضللنا الطريق وتورطنا في متاهة وقد احاطت بنا ظلمة الليل ولم نشاهد أثراً لأي

كائن حي، ففكرنا ماذا نفعل؟ وفجأة رأينا ضوءاً يظهر لنا من بعيد فتبيّن أنّه كان باصاً لنقل الركاب وقد جاء في هذا الطريق قاصداً مدينة بم، وخشينا أن لا يتوقف لنا عندما نشير إليه، وكان أحد الشرطيين اللذين كانا معي قد صار رفيقاً لي تدريجياً وكنت أتحدّث معه بهدوء ومتانة، فقال: إنّ السلاح يفيدنا في هذا الموضوع فنزل من السيارة وحمل بندقيته باتجاه الباص وسد عليه الطريق.

فذهل سائق الباص والمسافرون من هذا الحادث وتساءلوا ماذا حدث؟ وما أكثر فرحهم عندما فهموا أننا لا نروم سوى العثور على الطريق واتّضح حينئذٍ أننا كنّا متوجهين في طريق زاهدان الترابي على سبيل الخطأ لا مدينة ايران شهر.

وكان السائق شاباً ساذجاً يخالف عودتنا إلى الطريق الأصلي ولكنني أصررت على العودة ولاسيّما إننا نواجه نفاد البنزين في أثناء الطريق (والجدير بالذكر أنّه لم تكن هناك محطة لتزويد الوقود في الطريق الطويل وبفاصلة ٣٥٠ كيلومتراً، مضافاً أننا كنّا قد سرنا في سفرنا ثلاثين ساعة تقريباً بصورة متواصلة وبدون نوم أو استراحة فكانت أعصابنا متوترة وأجسادنا متعبة، ولكن الشرطيين أظهرا تأييدهم لاقتراحي بسبب أنني (سماحة الشيخ أكثر تجربة منّا) ولذلك عدنا إلى مدينة بم.

وبعد مسيرة ٥٠ ساعة تقريباً وصلنا إلى ميناء (چابهار) على

حدود باكستان على ساحل بحر عمان، أي أبعد نقطة في البلاد، وكنّا في حالة من التعب والارهاق والمرض لا مثيل لها، وكنت أتذكر طوال الطريق الميثاق العالمي لحقوق الإنسان (وكانوا قد خصصوا يوماً أو أسبوعاً في السنة) واتضح هناك أنّ الشرطة أيضاً كانوا يعيشون النقمة على الأوضاع ولكنّهم لم يكونوا يظهرون ذلك ولا طريق لهم إلى الاعتراف.

أول منفى چابهار

بالرغم من أنّ المناطق الأُخرى في ايران كانت باردة جدّاً والثلوج تغطي الأرض والناس يستخدمون المدفئة، إلّا أنّ (چابهار) كانت حارة والناس يستخدمون المبردة، ولكنّ أهالي المنطقة الذين كانوا من البلوج يقولون إنّ الجو بارد، ولكن عندما تمتليء ملابسنا عرقاً من شدة الحر بحيث يقطر العرق من أصابعنا وتلتهب أدمغتنا من شدّة الحر عند ذاك يقولون الهواء «شرجي!!» وهناك نلاحظ شدّة الرطوبة في الجو بحيث إنّ أغصان الشجر تنضح وتقطر بدون أن يكون هناك مطر أو سحاب، وشاهدنا بين الحين والآخر في داخل هذه المدينة الصغيرة والحدودية، أقفاصاً وأكواخاً للمحرومين الذين كانوا يعيشون فيها بدون كهرباء وماء، ولا أدري ولا أعلم أنّهم في هذا الحال ماذا يصنعون في أيّام الصيف؟ ولكن في تلك الأيّام بالذات كنت أقرأ في

الصحف الصادرة في طهران والتي كانت تصلنا بعد أُسبوع من صدورها بسبب بُعد الطريق. أنّه تقرر بناء معسكر بحري عظيم في ميناء (چابهار)، وبذلك تكتمل مجموعة المعسكرات الثلاثة.. الجوية، والأرضية، والبحرية، وقد كانت نفقات المعسكر المذكور تبلغ ٤ مليارات، وعلى أيّة حال فالمعروف بين الناس أنّ هذه القاعدة البحرية تقوم ببنائها شركات أمريكية وحتى أنّهم اشترطوا عدم الحقّ في استخدام أي عامل ايراني.

ولكن لم يتضح الهدف من بناء هذا المعسكر العظيم وبتلك النفقات الباهظة، ومن أجل ماذا يتمّ بناء هذا المعسكر، وفي مقابل أي عدوٍّ قوي؟

وكل ذلك في منطقة تفتقد المياه الصحية، ومياه الأنابيب مالحة إلى درجة أننا عندما كنّا نغسل وجوهنا كان الماء يؤذي عيوننا.

وفي هذه المدينة لم نعثر على صيدلية واحدة في تلك الأيّام، وأمّا حمام المدينة الوحيد فقد تمّ تعطيله بسبب عدم دفع ثمن الماء، وكان الناس يعيشون في تلك المنطقة إلى درجة من الفقر والحرمان أنّ بعضهم لا يذوق طعم الفاكهة أو يتناول بعض الخضروات طيلة أيّام السنة، وعندما قرأت هذه الأرقام الكبيرة والنفقات الباهظة للتسلح في هذه المناطق المحرومة غرقت في دوامة من الفكر لأنّ هذا التسلح العسكري الكبير لبلدنا يشبه أن نقوم بلف شجرة بسلسلة

وأسلاك حديدية لغرض المحافظة عليها ولكنّ الشجرة مصابة بالجفاف من الداخل وسوف تنهار تحت ضغط هذه السلاسل والأسلاك. ولهذا فانّ استقلال البلاد لا يقوم على كثرة السلاح ونوعية الأجهزة المتطورة في عالم التسلح العسكري، بل يعتمد على إيمان الناس وعشقهم لوطنهم ولدولتهم، فلو أننا تحركنا في خط التسلح العسكري وشراء أحدث أنواع الأسلحة المتطورة على حساب اهتزاز القيم وضعف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للناس فاننا نتحرك في طريق الفناء ونحفر قبورنا بأيدينا. فلو أننا قمنا بإنجاز بعض الخدمات لتحسين حالة الناس في هذه المناطق بدل كل هذه الأجهزة الحديدية فإننا سنتمكن من إذكاء حالة العشق والايمان في قلوبهم وسيدافعون عن وطنهم وبلادهم بكل وجودهم.

بلاء الاستبداد والنفاق

قلت: إنّ ماء الحنفية مالح إلى درجة أنّه لا يصلح للغسل أيضاً. وأمّا مياه الشرب فإنّها تنقل إلى المدينة بواسطة الصهاريج أو البراميل الصغيرة من مناطق قريبة أو بعيدة. وفي أحد الأيّام رأيت ماء الحنفية حلواً. فقلت في البداية: لعلي مخطىء في تصوري هذا، فكررت المضمضة بهذا الماء فثبت لي أنّه حلو واقعاً. فصحت بأصدقائي أن يستفيدوا من هذه الفرصة. وفوراً ملأنا عدّة آنية بالماء كذخيرة، ولكن

لم تمض سوى ثلاث ساعات تقريباً حتى عاد الماء إلى ملوحته، فتعجبت كثيراً من ذلك.

فقال لي رجل ذو وقار يعيش إلى جوارنا: لا تتعجبوا، فحتماً جاء إلى هنا أحد المسؤولين الكبار من العاصمة، وعادة يقوم الموظفون هنا بضخ الماء الحلو من المخازن إلى الأنابيب في المدينة لإثبات نجاح مشروع تحلية المياه، ولكن بمجرّد أن يعود ذلك المسؤول الكبير وتنتهي عملية تفقد المشروع فانّهم يقومون بإغلاق الأنابيب لمياه التحلية.

فقلت: إنّ هذا العمل مهما كانت فيه من المعايب والنواقص إلّا أنّه يتضمن حسناً كبيراً، فلا يلزمكم بعد هذا شراء صحيفة كل يوم، لتتفقدوا الأخبار. فعندما تستيقظون من نومكم في صباح كل يوم عليكم بمضمضة ماء الحنفية، فلو كان مالحاً تماماً فستعرفون عدم مجيء أي مسؤول إلى مدينتكم، ولكن إذا كان ماء الحنفية حلواً فمعنى ذلك قدوم أحد المسؤولين الكبار من العاصمة حتماً، وإذا كان ماء الحنفية نصف مالح فانّ احتمال قدوم مسؤول من الدرجة الثانية يكون قوياً.

بعد ذلك بمدّة كتبت الصحف أنّ في يزد شارع تمّ افتتاحه عدّة مرات، أي أنّه في كل مرّة يأتي إلى يزد أحد المسؤولين لتفقد المدينة فانّهم يقومون بافتتاح ذلك الشارع من جديد وينصبون في بداية

الشارع شريطاً ملوناً ليأتي ذلك المسؤول ويفتتح الشارع بقص الشريط المذكور.

وقد قام أحد أصدقائي الروحانيين وبمساعدة الناس (وبدون تدخل الدولة) ببناء جسر في إحدى قرى مدينة مازندران، وعندما تمّ بناء الجسر قام المسؤولون الرسميون بالضغط على هذا الرجل لافتتاح هذا الجسر بأنفسهم وأعلنوا بالاذاعة وأخبار الراديو عن افتتاح هذا الجسر كجزء من مشروع كبير للدولة في تلك المنطقة!! لاحظوا أنّ الحالة في كل المناطق سواء في شمال ايران وجنوبها وشرقها وغربها هي هذه الحالة، وظاهرة النفاق والرياء تشتد في جميع المراكز وكافة الأجواء، فالمظاهر براقة وجميلة، أمّا الأُسس والدعائم فمنهارة وركيكة.

إنّ أهالي مدينة (چابهار) يمتازون بالأخلاق الحسنة والقلوب الطيبة والمليئة بالمحبّة ويتكون ٨٠٪ منهم من أهل السنّة و٢٠٪ من الشيعة ويعيشون بروابط أخوية فيما بينهم، وهم من أكثر الإيرانيين حرماناً، في حين أنّ أهالي هذه المنطقة يقولون: إنّ الجو الحار هنا يساعد شجرة الفاكهة على أن تحمل مرّتين في العام.

وقد شاهدت بعض البساتين في (چابهار) ورأيت أنّ أرضها تعدّ من أخصب الأراضي الزراعية، فهذا البستان مع كل هذه المحصولات الزراعية المتنوعة في فصل الحر يعتبر أفضل وثيقة حية على إثبات

تقصير الجهاز الحاكم ويدلّ على أنّ النظام لو اهتم بتهيئة الماء العذب واهتم بالزراعة في هذه المنطقة فإنّه ليس فقط يتمكن من تدبير أُمور الناس والأهالي في هذه المنطقة بل سيتمكن من التخفيف عن كاهل الناس في سائر المناطق الأُخرى، وسيتقدم خطوة إلى الأمام في طريق القضاء على التبعية إلى الأجنبي في مجال المحصولات الزراعية بحيث تمثل هذه المشكلة أصعب وأخطر مشكلة اقتصادية وسياسية في ايران.

☙❧

ومن المسائل العجيبة هناك وعند بداية دخولي إلى هذه المنطقة رأيت أنّه لا يوجد في المدينة كلها سوى حمام واحد وكان ذلك الحمام معطلاً.

وضمناً علمنا أيضاً أنّ البلدية قامت بتخصيص مساحة ٢٠ ألف متر مربع من أفضل أراضي المدينة مجاناً لإحداث مقبرة خاصة لأفراد الفرقة الضالة «البهائية» في حين أنّ عدد أفراد هذه الفرقة في (چابهار) لا يتجاوز ستة عوائل فقط، ويكفيهم لدفن موتاهم عشرون متراً من هذه الأرض، ولكن في المقابل لا نجد مقبرة واحدة للمسلمين، وفكّرت في أنّ السكوت هنا حرام، ولذلك قمت بإرسال تلغراف إلى حاكم المدينة ورئيس البلدية بصفتي أحد المسؤولين المذهبيين وأحد رجال الدين وسجلت فيها اعتراضي على هذه

المسألة وبعض المسائل الأُخرى في هذه المدينة (وتصورت في نفسي أنّ مدينة (چابهار) تمثل آخر الخط حيث لا توجد مدينة أبعد منها لإرسالي ونفي هناك).

ولعلكم تتعجبون إذا علمتم أنّه بعد يومين وصلت لي رسالة جوابية من رئيس البلدية الذي يظهر أنّه رجل صريح وذا همّة عالية، حيث كتب لي في هذه الرسالة الرسمية وبإمضائه وختم البلدية الرسمي، ضمن ابداء شكره لهذه الانتقادات: «إنّ هذا البذل بالنسبة إلى أراضي المقبرة لم يحصل في زمان قيامي بالتصدي للمسؤولية، ويظهر من خلال الوثائق والمدارك أنّ الأمر قد صدر من العاصمة»، أي أننا لا نملك شيئاً تجاه هذا الأمر، ولكننا سنقوم بالعمل ببعض مقترحاتكم الأُخرى، فرأيت أنّ الماء ملوث من المنبع وجميع مناطق البلاد لها حصة من هذا الماء الملوث. ولهذا السبب أرى بعض الأفراد الانتهازيين يستغلون الفرص ويتفقون مع المسؤولين في تلك المناطق ويستغلون أجواء الخوف والصمت المسيطرة على المطبوعات ليتحولوا بعد فترة وجيزة إلىٰ أثرياء من الطراز الأول يمتلكون عشرات المصانع وعشرات الآلاف من الأغنام ومساحات شاسعة من الأراضي في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها، فيكون لهم من الثروات العظيمة بحيث لا يصل إليهم أي اقطاعي يعيش في زمن تسلط الاقطاعيين (يشير بذلك إلى هزبر يزداني أحد الأثرياء في زمان حكومة الشاه).

أمّا من الناحية الدينية فانّ الناس في مدينة (چابهار) يعيشون الحرمان المطلق (كما في سائر المناطق الأُخرى) ولابدّ لي من الاعتراف بأنني لو لم أجبر على المجييء إلى هنا فإنني لا أُسافر إليها بإرادتي واختياري، ولحسن الحظ أنني ذهبت إلى هناك ورأيت بعيني هذه المسائل وأحسست بالمسؤولية الثقيلة على عاتقي.

وطبعاً تحركت هناك في مجال تدبير أُمور المسجد والبرامج الثقافية فيه قدر المستطاع وقمت بتأسيس مكتبة بمساعدة بعض الاخوة هناك، وكان يشترك في بعض الجلسات الدينية التي كنت أُقيمُها بها هناك ٨٠ ٪ من إخواننا أهل السنة، وكذلك كنّا نتحدّث ونتحاور مع علمائهم في أجواء مليئة بالتفاهم المشترك وكنّا نطرح الكثير من الأُمور المتعلقة بالسياسة والحكومة على بساط البحث وتتضح الكثير من هذه المسائل بحيث لا يمكن بيانها في هذا المختصر.

وكان أحد الأهالي يقول: يجب علينا أن نشكر الله تعالى على أن بعثوك إلى هنا، وإلّا فأين نحن وهذه الأُمور والمسائل الدينية.

المنفى الثاني إلى «مهاباد»

ومضى خمسون يوماً على بقائي في مدينة چابهار وكان الجو في طريقه إلى القيظ وشدّة الحر بسرعة وكان العرق يتصبب من أبداننا وكنّا قلقين من حلول أشهر الصيف في هذه المنطقة ولكن فجأة صدر

الأمر بالتحرك باتجاه (مهاباد) في شمال غرب البلاد، وهكذا جاء معي شرطيان، أحدهما شيعي والآخر سني، وأحدهما يمتلك بندقية والآخر مسدساً، أحدهما كثير الكلام والآخر ماهر في إصابة الهدف، ومعهم مقادير كبيرة من الذخيرة والرصاص، وقطعنا مسافة ٣٢٠٠ كيلومتراً في مدّة أسبوع تقريباً ودخلنا مهاباد في طرق ثلجية.

ورغم أنّ قانون النفي والإقامة الجبرية يقول: إنّ الشخص المبعد لا ينبغي أن يحاصر بأي محدودية فيجب أن يتمتع بالحرية في كل شيء، ولكننا وجدنا أنفسنا في مدينة مهاباد ممنوعين من كل تحرك ولم يسمحوا لنا بالحرية خلافاً لمدينة چابهار.

إنّ تصرفات رئيس الشرطة ورئيس البلدية الطفولية واللامسؤولة أدّت إلى أن يتعامل الناس معنا من موقع الحذر والخوف فلا يتصلون بنا إلّا قليلاً حتى أنّ الكسبة يحتاطون في بيعنا ما نحتاجه، وقد قاموا باستجواب طبيب الأسنان الذي قام بإصلاح ومعالجة أسناني، فلا أحد يتجرأ على إجارتنا منزلاً معيناً من دون إجازة السافاك، وكان أحد رجال السافاك السريين (ولم يكن سرّياً إلى تلك الدرجة) كان يتبعنا كظلنا، وكان الهاتف في بيتنا خاضع لمراقبة شديدة، وبعض المسافرين الذين يقدمون إلى مهاباد من مناطق بعيدة وقريبة لزيارتنا كانوا يأخذونهم إلى مركز الشرطة أو السافاك ليتحققوا منهم، وبالرغم من رغبتي الشديدة في الاستفادة من هذه الفرصة الثمينة والاتصال

بعلماء أهل السنّة للبحث معهم في مسائل إسلامية مختلفة وكذلك كانوا يرغبون في المقابل بعقد مثل هذه الجلسات، ولكن بسبب الضغوط الشديدة التي كنّا نواجهها من قبل أجهزة النظام لم تسمح لنا الفرصة بذلك إلّا بعد أربعين يوماً، وفي تلك الأجواء كان الخوف مستولياً على الجميع وكان الناس يخيم عليهم ظلال الأجهزة الأمنية والخوف من السافاك.

ولكن أخيراً رأيت كيف أنّ الناس في مهاباد الذين كان يخيم عليهم الخوف والرعب من السلطة، قد استيقظوا وخرجوا إلى الشوارع في تظاهرات عظيمة ضد النظام؟ وهذه الظاهرة حصيلة تلك البرامج والجلسات، والملفت للنظر أنّ أصدقاءنا المشتركين في التفسير الأمثل كانوا يقدمون إلى مهاباد بالتناوب كل عشرة أيّام وكان مشروع التفسير مستمراً وبسرعة أكبر هنا في تلك الفترة.

المنفى الثالث إلى «أنارك نائين»

وسأترك الكلام عن الذكريات الحلوة والمرّة في هذه المدينة الخضراء المليئة بالبركة والجمال (مع أهميّتها في بعض الموارد) ومن أجل رعاية الاختصار في الكلام، وأتحدث عن المنفى الثالث وهو مدينة «أنارك نائين» الصحراوية.

في أحد الأيّام جاء إلينا رئيس مخابرات الشرطة في مهاباد يحمل

رسالة من قم وكأنّ المشكلة قد انحلت ويجب أن أرافقه إلى مركز الشرطة، ولكنّهم قالوا لي هناك: يجب عليك أن تتحرك باتجاه مدينة «أنارك نائين» وليس لك الحقّ في العودة إلى المنزل لتفقد زوجتك وأطفالك (لأنّ العائلة كانت معي في مهاباد فأردت إخبارهم بمفاد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فرأيت شرطيين مسلحين ببندقيتين يقفان أمامي وكانا يلفّان حول بدنيهما أشرطة وأحزمة كثيرة من الرصاص بحيث كان الحزام يوشك على الانفلات من ثقل الرصاص، ولا أعلم أنّ هذان الشرطيان كانا يستعدان لقتال جيش كامل أو لتشييع نفر واحد مبعد لا يملك حتى سكيناً صغيرة!!».

قالوا: إنّ السيارة حاضرة... وتحركت بنا في الطريق لمدّة عشرين ساعة بدون توقف أو استراحة في وسط الطريق حتى وصلنا إلى مدينة نائين وهناك جاءتنا سيارة الحرس مع ثلاثة نفرات من الشرطة المسلحين إلى مدينة أنارك التي تبعد ٧٥ كيلومتراً عن مدينة نائين.

✻

في هذه المدينة، كما يظهر من اسمها، بعض أشجار الرمان ولا شيء غير هذه الأشجار القليلة، فالصحراء تنتشر في كل مكان وتحيط بالمدينة من جهاتها الأربع، وفي المدينة شوارع وأزقة قليلة معبدة لا يمكن إطلاق اسم شارع عليها إلّا بالمسامحة، وكل هذه الشوارع تنتهي إلى الصحراء الجافة المحرقة، وكان الخباز الوحيد قد

سافر قبل مدّة منها فلا يوجد الخبز إلّا من خلال البيوت حيث يخبز بعض الأهالي الأرغفة في بيوتهم، لهذا السبب كنّا غالباً نأكل الخبز اليابس الذي يؤتىٰ به إلينا من مناطق أُخرى ويبقى لمدّة شهرين، أمّا الماء هناك فلم يكن صالحاً للشرب، ولهذا السبب فإنّ بعض الأصدقاء كانوا يأتون إلينا كل يوم تقريباً ويقطعون مسافة ٢٠٠ كيلومتراً لملاقاتنا ويحملون إلينا بماء الشرب من هناك. أمّا بالنسبة إلى النفط والبنزين فالمحطة الوحيدة هناك كانت معطلة بسبب قلة الأرباح التي يحصل عليها البائع، ولهذا لم يكن في المدينة أثر للنفط أو البنزين، وكان لدى أهالي المنطقة قليل من الماعز التي كانت تشكو الجوع غالباً لقلّة العلف في هذه المنطقة الصحراوية الجافة، وكان أحدهم يقول: إني حلبت أربعة من الماعز ولم أحصل إلّا على ٢٠٠ غراماً من الحليب.

هذه المدينة الصغيرة التي كان عدد سكانها ٢٠٠ نفر تسمّى أحياناً بمدينة «النساء»، وذلك بسبب أنّ رجال المدينة كانوا يقضون جميع أيّام الأُسبوع «ماعدا الجمعة» في منجم لاستخراج الرصاص يقع على مقربة من هذا المكان ويسمى «معدن نخلك»، فتبقى نساؤهم وأطفالهم في المدينة بدون رجال.

ولعلكم سمعتم أنّ العمل بمعدن الرصاص خطر على الإنسان فكيف بمن يعمل في منجم الرصاص حيث يصاب الإنسان بالضعف

والذبول أو يصاب بالسل إلّا بتوفير الحماية الكاملة والرقابة الصحية الجيدة.

كان العمال هناك يعملون في عمق ١٨٠ متراً تحت الأرض وأحياناً يصل الماء إلى خاصراتهم ومع ذلك فإنّهم يستلمون حقوقاً ومرتبات شهرية قليلة جدّاً (من ٢٣ إلى ٣٠ توماناً) في اليوم، ولهذا السبب نرى هجرة الشباب من هذه المدينة إلى مناطق أُخرى، ومن هنا كان يجب على العاملين في هذا المنجم وللحيلولة دون الإصابة بالمرض تناول قنينة حليب كل يوم ولكنّ المسؤولين كانوا يبخلون عليهم بذلك.

وكانت الحالة لدى بعض الناس إلى درجة من الرقة والحرمان بحيث لا يمكن وصفها وبيانها، ولكنّ الناس هناك بصورة عامة كانوا يتمتعون بطهارة القلب وملتزمين بتعاليم الدين، ولهذا تعرفت على الجميع في مدّة قصيرة واستطعت القيام ببعض البرامج الدينية هناك ولحسن الحظ أننا لم نواجه منعاً أو تحديداً للعمل من قبل النظام.

ولكن لا ينبغي أن تغفلوا عن وجود مناجم كثيرة حول هذه المدينة المحرومة، منها منجم للذهب وكذلك اليورانيوم، ولكن مع ذلك لا يحصل أهالي هذه المدينة على شيء من عوائد هذه المناجم، والأهم من ذلك وجود قاعدة عظيمة للقوّة الجوية على بعد ثلاثين كيلومتراً من المدينة (بين أنارك ونائين) إلى جانب الجادة الرئيسية

وقد قاموا بنصب صواريخ ضد الجو حول هذه القاعدة الجوية، وأنفقوا في بناء هذه القاعدة نفقات عظيمة وبأموال باهضة، ولا توجد منطقة معمورة هناك سوى هذه القاعدة فقط.

وكان ما يُسكّن غليلنا ويُرقّق قلوبنا في تلك المدينة، مضافاً إلى محبّة الناس وكثرة الأصدقاء القادمين إلينا من إصفهان ونائين ويزد وكاشان وسائر المناطق الأُخرى، أنّ آية الله السيد «پسنديدة» الأخ الأكبر للإمام الخميني وعدّة من الأصدقاء كانوا مبعدين أيضاً إلى هنا.

فقد أرسلوهم إلى هذه المنطقة بعنوان النفي والتبعيد وكنّا نستأنس ونلتذ بالجلوس إليهم وسماع حديثهم.

ومرّ شهران أو ثلاثة في تلك المنطقة وأخبرونا في أحد الأيّام عن استبدال مكاننا، ولابدّ من التوجه إلى المنفى الرابع «جيروفت» وقد أحضروا سيارة ونفرات من الشرطة.

وفهمت من خلال ذكرياتي في تلك المنطقة أنّ هذه المنطقة الواقعة بين كرمان وبندر عباس حارة ومحرقة، والذهاب إلى هناك وخاصة في وسط شهر رمضان المبارك والصيام في ذلك الجو المحرق لا يعد عملاً معقولاً. مضافاً إلى أننا لا ينبغي أن نسكت على كل هذا الأذى حيث يقذف بنا أزلام النظام كل يوم إلى منطقة معينة مثل كرة القدم، فأخبرت السائق فوراً بذلك وتوجهت سرّاً في تلك الليلة من «أنارك» إلى قم من طريق فرعي وقلت في نفسي: لا يوجد

لون أشد من السواد، وكتبت رسالة ووضعتها في مكاني في أنارك على أن يسلمها إلى المأمورين صباح ذلك اليوم، وقلت في هذه الرسالة إنني توجهت إلى قم للمشورة مع المحامي الخاص فلا تعتبروا هذا العمل من غيبتي... واتّفق أنّ الأوضاع تغيّرت في هذه الأيّام وتصاعدت حدّة الثورة إلى أن انتصرت وتمّ إطلاق سراح جميع السجناء السياسيين وعودة المبعدين، وهرب المستكبرون وقادة النظام الجائر من البلاد أو اودعوا السجون أو حكم عليهم بالإعدام، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد للّه ربّ العالمين.

وأخيراً فهمت من هذا الدرس الكبير أنّ السجن من شأنه أن يمنح رجال الثورة القوة والاستقامة في خط الرسالة أكثر، ويمكّن المُبعدين أن يوصلوا نداء الثورة إلى النقاط القريبة والبعيدة من البلاد (وممّا يجدر ذكره أنّ هذه الرسالة تتعلق بما قبل ٢٣ سنة تقريباً).

الخلاص من عملية الاغتيال!

الحادثة الأولى

الحادثة الأُولى كانت في بداية الثورة الإسلامية حيث تمّ تشكيل شورى عُليا للقضاء، هدفها الإشراف على وضع المحاكم الشرعية في مختلف المناطق في ايران، وفي المدّة القصيرة التي كنت فيها عضواً في تلك الشورى «وكان مركزها في قم ولم تنتقل بعد إلى طهران» ومع

الإلتفات إلى وجود أفراد مندسين في المحاكم في ذلك الوقت كان من جملتهم الافراطيون الذين كان الإمام الراحل؏ يشعر بالامتعاض منهم وكانت لتحركاتهم أصداء وانعكاسات سلبية في واقع المجتمع الإسلامي، فتحدّثنا في جلسة الشورى هذه وتقرر بعث أشخاص من أعضاء هذه الشورى إلى نقاط مختلفة في البلاد للاشراف على أُمور المحاكم وضبطها.

وقد عزمت بدوري على التوجه إلى إصفهان مع بعض الإخوة وممارسة عملية الإشراف على أمر المحاكم هناك، وكانت إصفهان في ذلك الوقت تعيش أجواء مضطربة لوجود تيارات مشكوكة في صفوف المسؤولين والمتصدين لأُمور الثورة الإسلامية منها مسألة قتل المرحوم «شمس آبادي» التي حدثت قبل الثورة، وكذلك قتل المرحوم المهندس البحريني التي حدثت بعد الثورة ومسائل أُخرى من هذا القبيل، فكانت الأجواء ملتهبة ولعل الذهاب إلى هذا البركان كان مخالفاً للعقل حسب الظاهر، ولكنني لم أتعامل في حياتي مع هذه الملاحظات وكنت أقول إنّ الإنسان إذا تحرك في عمله من أجل الله، فانّ الله تعالى هو الحافظ له، وبذلك توجهنا إلى هناك ورأينا الأوضاع عجيبة جدّاً، فانّ تلك المنظمات التي اكتشفت أخيراً ونالت جزاءها العادل كانت تلاحقنا منذ البداية كالظلّ حتى لا نقوم بأي عمل نافع، ومن أجل جلب الرأي العام للناس جعلنا مسجد «سيد»

الذي يعد من أكبر وأهم مساجد إصفهان، مقرّاً لنا وأعلنّا للناس وجود محاضرة في هذا المسجد في كل ليلة، واجتمع خلق كثير في هذا المسجد واستطعنا إجهاض التحركات المشبوهة للجهة الأُخرى المناوئة، ثم توجهنا إلى السجون والمحاكم في إصفهان ورأينا أوضاعاً عجيبة، ففي بعض الأماكن لمسنا النفوذ الكبير لتلك الجهة المناوئة وكانت قد حدثت مسائل وأُمور عجيبة، وقد اتصل بنا شخص لا أُحب أن أذكر اسمه، وقال إنّ مسؤوليتي أن أقوم باغتيالكم جميعاً (وهو الشخص الذي كان يتعقبنا كالظل) وقال: إنني تحدثت مع والدي بهذا الشأن وإنني مأمور باغتيال الشيخ مكارم وجماعته، فقال لي والدي: لا أظن أنّ الشخص الذي يقتل مكارم سيكون من أهل النجاة يوم القيامة. وهذا الكلام أثر في نفسي ومنعني من تنفيذ ما أُمرت به.

وكان المرحوم آية الله الخادمي وجماعة كثيرة من علماء إصفهان يتحركون على مستوى دعمنا وتأييدنا في مقابل تلك الجهة المناوئة.

الحادثة الثانية

عندما انتهى الدرس عدت إلى منزلي فأحسست بوجود شاب يعقبني ويتابعني كظلّي ويسير ورائي وعندما وصلت إلى الباب، إلتفت إليّ وقال: ألم تعلم أنني أتعقبك باستمرار؟ فانني أحمل مهمّة في هذا

الشأن، وهي أنني كنت جالساً في حديقة من حدائق طهران العامة، فجاءني أحد الأشخاص في سيارة «فولكس» زرقاء اللون فقال لي: أُعطيك مبلغاً كبيراً (وأتصور أنّه كان خمسة آلاف تومان، حيث كان ذلك الوقت مبلغاً كبيراً) لتذهب إلى قم وتقوم باغتيال شيخ مكارم وتعود إليَّ، وأعطاني قسماً من ذلك المبلغ وقال: عندما تنتهي من عملك وتعود أدفع إليك بقية المبلغ «ولا أتذكر أنّه قد استلم السلاح من ذلك الشخص أو أنّه كان يمتلكه». فجئت إلى هنا وتوجهت في البداية إلى حرم السيدة المعصومة، وفجأة أحسست بانقلاب روحي وشعرت في قلبي بالندم على ما أنا مقدم عليه وفكرت في هل أنّ الله يرضى بهذا العمل أم لا؟ فقررت أخيراً أن آتي إليك وأُخبرك عن هذه المؤامرة لتكون على حذر أكثر، قال ذلك وودعني منصرفاً، ففكرت أنّه لا يمكن للإنسان النجاة من الحوادث الخفيّة بدون ألطاف إلهيّة خفيّة.

الحادثة الثالثة

كنّا نعيش في بداية الثورة أوضاعاً متأزمة وصعبة، وقد أُبلغنا بعدم التحرك في المدينة إلّا بمعية حارس أو حماية وسلاح، بل أُبلغنا بضرورة وجود حماية مسلحة في داخل البيت في غرفة خاصة حتى إذا حدثت مسألة ومشكلة فبإمكاننا أن ندافع عن أنفسنا، فكان

الحرس يأتون إلينا ونستقبلهم في بيوتنا، وفي أحد الأيّام وكان الوقت ظهراً وكان الحارس نائماً في الغرفة المجاورة وكنت أمتلك بدوري مسدساً في غلافه فأخرجته من جيبي وأردت وضعه على الرف ولكنّه انزلق وخرج من الغلاف وسقط على الأرض ورغم كونه موصداً إلّا أنّ رصاصة انطلقت منه فجأة ولعلّها مرّت على مقربة من أُذني وأصابت الجدار ثم انطلقت إلى السقف وعادت إلى الأرض، وبما أن الرصاصة انطلقت في جو مغلق فقد كان لها دويّ كالقنبلة واهتز البيت فرأيت أنني ما زلت سالماً وشكرت الله على ذلك، واللطيف أنّ محافظنا ظلّ نائماً في الغرفة المجاورة بالرغم من صوت الرصاصة، وقد فهمت حينذاك أنّ المحافظ الحقيقي هو الله تعالى، وهذا لا يعني أنني أُوصي بعدم استخدام الوسائل الظاهرية وترك الاستعانة بالأُمور المادية، ولكن أقول ينبغي في الدرجة الأُولى أن نفوض أمرنا إلى الله تعالى ونتوكل عليه».

الدفاع عن المذهب في مجلس الخبراء

كنت في مجلس الخبراء في قسم المذاهب واللغات، وطبعاً كان في مجموعتنا أحد الاخوة من أهل السنة وهو المولوي عبدالعزيز الذي كان رجلاً فاضلاً وعالماً وكان بإمكاننا التفاهم معه كثيراً. مضافاً إلى أحد علماء الزرادشتيين وأحد القساوسة النصارى وأحد كبار

اليهود أيضاً، ومن هذه الجهة فمجموعتنا متميزة بهذه التشكيلة عن سائر المجاميع في المجلس المذكور، فلابدّ من عقد جلسات مشتركة مع رموز ورؤساء المذاهب والأديان في هذا البلد لنتحدّث عن القضايا المتعلقة بالأديان ومكانتها في الدستور (القانون الأساسي) لسن قوانين لازمة في هذا الشأن ودراستها في الجلسة العامة، وقد بذلنا جهوداً كبيرة حتى استطعنا إدخال الموارد المتعلقة بالمذهب الرسمي في القانون الأساسي بأدوات منطقية وبأساليب قانونية على أساس أنّ المذهب الرسمي في هذا البلد هو المذهب الشيعي الإثنا عشري، في نفس الوقت تكون الأقليات المذهبية في الجمهورية الإسلامية محترمة وتتمتع بحقوق المواطنة ولا تواجه أيّة مشكلة في حركة الحياة في داخل المجتمع الإسلامي.

والعجيب أنّ الفرقة البهائية الضالة تحركت في تلك الأيّام بفاعلية شديدة وبرنامج منظم وادعاءات كبيرة من خلال أرقام كاذبة عن عدد نفوسهم في ايران وأنّ عدد أفراد هذه الفرقة أكثر من سائر الفرق الدينية الأُخرى، وقاموا باتصالات واسعة من الخارج والداخل وبإصرار على السماح لهم بحيازة كرسي خاص في المجلس لتكون فرقة رسمية ومشروعة.

لكنني كنت على إطلاع تام بتاريخ هذه الفرقة، وكان في هذه المجموعة بعض الإخوة الأعزاء من رجال الدين مطّلعين كذلك على

حال هذه الفرقة. ولذلك وقفنا موقفاً متشدداً أمام طلب هذه الفرقة، وأدّى إصرارهم الشديد إلى أن نضع المادة الخاصة بالمذاهب في الدستور بشكل يصطلح عليه في الحوزة «ينفي ما عداه». بمعنى أنّ القانون يمنح حق المشروعية لليهود والنصارى والزرادشتين فقط على أساس أنّ هذه الأديان كانت مورد حماية القانون منذ قديم الزمان وعرفوا في كتبنا الفقهية بعنوان «أهل الكتاب» ويطلق عليهم الفقهاء أهل الذمة ولا يشمل هذا العنوان فرقة أو مذهباً آخر، وقد تمّ تدوين الدستور للجمهورية الإسلامية بشكل دقيق بحيث يطرد المذاهب المجعولة من قبل الاستعمار.

وأتذكر جيداً عندما طرحت مسألة الاعتراف بالمذهب الشيعي، وهو مذهب الأغلبية بالنسبة إلى الشعب الايراني على بساط البحث في مجلس الخبراء ودافعت عن هذه الاطروحة، قام أحد الإخوة من أهل السنّة (السيد مولوي عبدالعزيز) وخلافاً للمتوقع منه وأظهر مخالفته لمقولتي بعد أن انتهيت من تقرير وطرح رأيي، وأنا بدوري أجبته ببيان منطقي وأوضحت له أنّ المفروض في كل دولة أن تكون القوانين فيها تابعة لمذهب معين ولا يمكن أن تكون على رأي مذهبين أو ثلاثة في الأحكام العامة. وبالطبع فإنّ سائر المذاهب ينبغي أن تكون محترمة ويتمتع أتباعها بجميع حقوق المواطنة. ولكن تعدد القوانين الحاكمة في الدولة غير ممكن. فالجميع أحرار فيما

يتعلق بشؤونهم الخاصة (من قبيل الزواج والطلاق التي تسمى بالأحوال الشخصية) ولكن في الأحوال العامة يجب اتّباع قانون واحد.

وبعد أن ذهبت لزيارة الإمام قال لي: «لقد رأيت وسمعت دفاعك في المجلس من خلال التلفزيون وسررت بذلك كثيراً وقد كان دفاعاً جيداً ومنطقياً وقد أدّيت المسألة حقّها».

الإصلاحات على مستوى الحوزة

بالرغم من وجود كل هذه الامتيازات ونقاط القوة في الحوزة العلمية، ولكن مع الأسف هناك بعض النواقص ونقاط الضعف فيها حيث كنت أراها وأعيشها منذ البداية، ومنها مسألة الامتحانات حيث لم يكن هناك امتحان للطلّاب مطلقاً وكنّا نأمل إيجاد امتحانات للدروس الحوزوية وبذلك يتمّ التعرف على الطلّاب الجيدين والمتميزين، ويتمّ تقوية الدوافع لدى الطلّاب وتفعيل ميدان المنافسة الإيجابية بينهم.

وكذلك كنّا نأمل أن يكون هنا قانون ومقررات لمسألة لباس رجل الدين، فهذا اللباس المقدّس لا ينبغي أن يستغل من أي شخص أو يتمّ ارتداؤه بدون شروط. فلو رأينا ما يخالف هذا القانون فينبغي على مديرية الحوزة والمراجع تعقيب هذا الأمر وعدم المسامحة فيه.

وكنّا نأمل بإصلاح الكتب الدراسية في الحوزة وإدخال بعض الدروس الإسلامية المهمّة كالعقائد وتفسير القرآن الكريم والبحوث المتعلقة بالحديث في مناهج الحوزة وتفعيلها.

وكنّا نأمل فيما يخص المبلّغين أن يتّم إرسال أشخاص متمرسين وأصحاب تجربة إلى التبليغ للإسلام ويرسل للتبليغ إلى خارج البلاد من يتقن اللغات الأجنبية.

وكنّا نأمل أن تحلّ مشاكل الطلّاب على مستوى السكن والجهات الأُخرى، وفي المجموع كنّا نأمل وضع برنامج كامل يأخذ بنظر الاعتبار الجهات المختلفة لطلّاب الحوزة العلمية.

لقد شعر القائمون على أُمور الحوزة بعد رحيل آية الله العظمى البروجردي‍ﭫ وما رافق ذلك من تحولات وبرامج كثيرة، وكانت هذه البرامج الإصلاحية تستوعب جهات مختلفة: منها، إصلاح وتكميل الكتب الدراسية غير كتب الفقه والأُصول، حذف المباحث الزائدة في الفقه والأُصول، الاهتمام بالمسائل المستحدثة، الاهتمام بالمذاهب المنحرفة والمجعولة والموضوعة ومباحث أُخرى، حيث رأينا أنّ الاهتمام بهذه المواضيع يزداد يوماً بعد آخر حتى بداية الثورة الإسلامية حيث أثمرت الجهود بحمد الله وكان الإمام الراحل‍ﭫ من المؤيّدين لهذه البرامج الإصلاحية وقد اقترح تأسيس شورى مديرية الحوزة وأوصى بتشكيلها، وقد بعث من جانبه ثلاثة أشخاص لهذا

الشأن وثلاثة أشخاص من قبل آية الله العظمى الكلبايكاني، وثلاثة أشخاص من مجمع المدرسين، فبلغ عددهم مجموعاً تسعة أشخاص من فضلاء وأساطين الحوزة العلمية، حيث تقبلوا هذه المسؤولية وشرعوا باصلاح الوضع في جوانب مختلفة. وقد رأينا بحمد الله معالم التوفيق لهذه الشورى المحترمة.

وعندما انتهت مهمتهم اقترح عليَّ الإخوة في مجمع المدرسين قبول هذه المسؤولية وقد وافقت على هذا الطلب لأسباب متعددة كما اتّضح فيما سبق (أي أنني كنت راغباً جدّاً في إيجاد تحول وإصلاح في الحوزة العلمية مضافاً أنّ بعض الأصدقاء اشترطوا لدخولهم في هذه الشورى مشاركتي فيها وقبولي لهذه المسؤولية)، ولكنني كنت متردداً فيما إذا كانت هذه المسؤولية الجديدة تتوافق وتنسجم مع أعمالي الكثيرة الفعلية أم لا؟ فاستخرت الله تعالى في الحرم المقدّس للإمام الرضا(ع) وكنت في عداد خدّامه الإفتخاريين طبق المقررات المعمول بها لدى مديرية الحرم الشريف فخرجت الآية الشريفة: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾[1]. فعلمت أنّ هذا الأمر تتخلله صعوبات كبيرة ولكنه يتضمن أيضاً ماء الحياة وفقاً لما ورد في شأن هذه الآية الشريفة. وعلى أيّة حال فقد وافقت على طلبهم واستلمت منصب مدير هذه الشورى في الدورة

---

١. سورة الكهف، الآية ٦٢.

الثانية والثالثة وبحمد الله توفقنا إلى أداء خدمات كثيرة.

ومن جملة الأعمال المهمّة التي استطعنا تقديمها في تلك الفترة مسألة تنظيم النظام الداخلي والقانون الأساسي لشورى الحوزة العلمية وقد تمّ إمضاؤها من قِبل آية الله العظمى الكلبايكاني وآية الله العظمى الأراكي رحمه الله وقد أقرّها سماحة السيد القائد، وتقرر أن يوافق عليها سائر الأعاظم في الحوزة العلمية في قم حيث أنّها تمثل دعامة قوية من جهة حقوقية وقانونية للحوزة العلمية فلا تكون أموال الحوزة باسم أشخاص معينين بل باسم شخصية حقوقية فقط، ومن هذا الطريق فإنّ الأموال التي ترد إلى الحوزة في الحال الحاضر وفي المستقبل ستكون محفوظة ومصونة من التلاعب، ولا أنسى أنّي قمت بزيارة المرحوم آية الله العظمى الكلبايكاني رحمه الله في أواخر عمره وتحدثنا عن مسائل الحوزة العلمية فرأيته يبكي ويتحرق على مستقبل الحوزة، وأكد كثيراً بقاء استقلال الحوزة العلمية (وهذا المعنى قد أكد عليه جميع الأعاظم منهم الإمام الراحل رحمه الله) فقلت له: اطمئنوا إلى ذلك فاننا كأبنائكم نسعى بجدية إلى حفظ هذا الاستقلال وخاصة مع عدم وجود من يخالف في الوقت الحاضر، والحمد لله، وستكون الحالة كذلك في المستقبل بإذن الله.

الكتابة والخطابة

لا شك أنّ فنّ الكتابة والخطابة لم يمنح للبشر على السويّة، ولكن على أيّة حال فانّ كل شخص يمتلك مقداراً من هاتين الموهبتين، ينبغي أن يمارس عملية تفعيل هذه الملكة ويجسد هذه الموهبة على أرض الواقع العملي، بأن يخطب أو يكتب ويدافع عن معتقده ورأيه، بالرغم من أنّ موهبة الخطابة أو الكتابة يجب أن نضعها في دائرة الفنون الإنسانية المهمّة بل هي أهم الفنون ولكن باعتقادي أنّ فنّ الكتابة أو الخطابة ليس مثل فنّ الشعر الذي يملك تذوقه بعض الناس ويفقده البعض الآخر، وعلى هذا الأساس يجب على جميع الفضلاء وطلّاب العلوم الدينية أن يتحركوا في هذا السبيل ويبذلوا قصارى جهودهم من خلال التمرين والممارسة والتتلمذ لدى استاذ ليتسلحوا بهذين السلاحين ويكونوا من الخطباء أو الكتّاب المتميزين.

تجربتي في الكتابة

أرى من الضروري أن أذكر للشباب الأعزاء تجربتي في الكتابة والتأليف في عدّة نقاط:

١. النظم في جميع الأُمور

كنت أتحرك في حياتي وفقاً للنظم لا في مجال الدرس والبحث والتحقيق فحسب بل حتى في مجال الأكل والنوم والاستيقاظ وسائر الأُمور الأُخرى، وقد أدّىٰ هذا النظم إلى أن أستفيد من أوقاتي بأفضل ما يكون، ولو لم يكن هناك نظم في حياتي لم أكن موفّقاً لإنجاز أعمال مهمّة، ومن غير الممكن أن أنتج هذه التأليفات المهمّة بدون برنامج منظم.

٢. العمل الجماعي

تجربة أخرى في حياة تتعلق بالعمل الجماعي في جميع الموارد ولا سيّما في النشاطات العلمية وخاصة في كتابة الكتب أفضل من العمل الفردي كثيراً. فالكتب التي كتبناها بصورة جماعية أي بالتشاور مع الآخرين كانت أسرع وأعمق وأكثر غزارة من جهة، ومن جهة أُخرى كانت مورد استقبال الناس أكثر حتى لو كان الطرف الآخر في المشاورة والعمل الجماعي تلميذاً للشخص.

وصيتي للكتّاب الأعزاء السعي في العمل الجماعي مهما أمكن الأمر وأن يقدّموا العمل الجمعي على العمل الفردي وبالأخص في مجال تأليف وتصنيف الكتب المهمّة.

إنّ الحركة السريعة في تأليف التفسير الأمثل وتفسير نفحات القرآن مع ما يتضمنان من مقبولية ومطلوبية لدى الناس هي ثمرة العمل الجماعي، والكتب التي قمت بتأليفها في مجال العقائد وكنت قد سبق وأن درستها، ولذلك فهي أيضاً وليدة العمل الجماعي

إذا كان الأعمال بشكل العمل الجماعي وقد أثمر هذا العمل في تطوير الحركة الفكرية والعلمية والتقليل من الخطأ والاشتباه، غاية الأمر أنّ العمل الجماعي له شروط حيث سعيت بالاستمداد من لطف الله وكرمه بالعمل وفقها ما أمكنني ذلك، وأُوصي الآخرين باحترام نظرات الغير في هذه الموارد وتحمل عقائد المخالفين وأن يعيش الشخص حالة سعة الصدر والاغماض، فلو تلاقحت هذه الأُمور واقترنت مع بعضها فانّ ذلك يعني نجاح العمل الجماعي، ولكن إذا كنت أُفكر من موقع الجزمية والاطلاق في صحة أفكاري فقط وبطلان الرأي المخالف ولم أحترم آراء الآخرين وأفكارهم ولم أتحمل عقيدة المخالف ولم أملك حالة الاغماض فانّ هذا من شأنه عرقلة المسيرة قطعاً.

وأُضيف هنا هذه الحقيقة، وهي أنّ للآخرين نقاطاً إيجابية ونقاطاً



سلبية دائماً، ولا يوجد شخص يعيش النقاء من أي نقطة سلبية سوى المعصومين، فكل إنسان لديه نقطة أو نقاط قوة، ويجب علينا دائماً التعامل مع الآخرين من موقع حصيلة النقاط وجمع المعدل لمعرفة حساب صفات الأشخاص، ولو كان المعدل جيداً لزم علينا تحمل الجهات السلبية ونقاط الضعف من ذلك الشخص!.

٣. السير في آثار الآخرين

وأنا بدوري لم يكن لدى موهبة الكتابة في مرحلة الابتدائية والثانوية، فعندما كنت أكتب موضوعاً إنشائياً في المدرسة لم يكن إنشائي أفضل من الآخرين لعدم وجود الأرضية المناسبة لتفتح هذه القابلية والملكة، ولكن تجربتي الشخصية تحكي عن أنّ الإنسان إذا أراد تقوية وتفعيل هذه الملكة في نفسه يجب عليه مطالعة آثار الكتّاب والأُدباء الجيدين، وهكذا فعلت في هذا المجال وقرأت كتباً عديدة مشهورة بقوّة الأدب وقد طبعت مرّات عديدة وكانت مورد استقبال الناس في مجالسهم وكلماتهم.

٤. إرشاد الأستاذ

وهنا تجربة أُخرى أيضاً وهي أن يشتغل الطالب في هذا المجال تحت نظر مرشد وأُستاذ فانّ ذلك من شأنه الاسراع في عملية ترشيد

المواهب الفنية لدى الطالب. ولكنني مع الأسف كنت أفتقد الأُستاذ في الكتابة، واقتصرت على الطريق الأول وهو قراءة الكتب الجيدة للآخرين (وهذا أيضاً من قبيل الاستفادة من الأُستاذ) ولكن الأشخاص الذين اشتركوا في جلساتنا وتعلموا فن الكتابة بصورة منظمة كانوا أسرع من غيرهم في اقتباس هذا الفن وتجسيده في الخارج على شكل تأليف كتب جيدة.

٥. تعين المخاطب في الكتابة

إذا أردنا إحراز الموفقية والنجاح في عالم التأليف والكتابة يجب علينا تعيين المخاطب الأصلي لهذا الكتاب أو المقالات، فمن هو المخاطب في هذا الكتاب؟ وكأنّ المخاطب أو المخاطبين عندما نكتب لهم كتاباً، نراهم ونكتب لهم ومن أجلهم، فلو أننا أهملنا المخاطبين حين الكتابة أو استبدلناهم بصورة عمدية بغيرهم فانّ تأثير ذلك سيكون سلبياً على محتوى الكتاب وأُسلوب الكتابة.

٦. الالتفات العميق إلى الحاجة والطلب

وتجربتي الأُخرى في هذا المجال هي أننا إذا أردنا أن نحصل على النجاح والموفقية في الكتابة فلابدّ من الاهتمام والالتفات العميق والدقيق إلى مشاكل الناس ومسائلهم الفكرية وآلامهم النفسية. فإذا

تحركنا في هذا المسير وكانت كتاباتنا تعكس مشاكل المجتمع وآلام الناس فيها وتتضمن بيان الحلول التي تلامس هذه الأزمات وحل العقد الفكرية للأفراد فسوف يكتب لنا النجاح والموفقية وتكون كتاباتنا خالدة.

٧. تدوين المعتقدات

وتجربتي الأُخرى في هذه المرحلة أنني لم أكن أكتب شيئاً لا أعتقد به أو أُواجه بعض التعقيدات الفكرية غير المحلولة، فالإنسان إذا اعتقد بشيء فإنّه يدافع عنه بكل وجوده، والمسألة التي يجد لها الحل المقبول فإنّه سيتحرك لبيانها وبيان حلها ببساطة وتكون كتابته لها من موقع الإخلاص والعمق الفكري، وعلى هذا الأساس فانني أُوصي الإخوة أنّهم ماداموا يواجهون مسألة غير منحلة لديهم وما لم يعتقدوا بقضية فلا ينبغي أن يتحركوا على مستوى كتابتها وتدوينها.

٨. عدم التعقيد في الكتابة

وممّا يبتلى بها الكتّاب أحياناً يتورطون في مشكلة تطويل المقدمات وبالتالي سيقع القارىء في دوامة ومتاهة في بحثه عن أصل المسألة، فيجب حذف المقدّمات الزائدة والتفريعات الإضافية وغير الضرورية والاكتفاء في البداية بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) مع

مقدّمة قصيرة تتعلق بالدوافع لكتابة هذا الكتاب ثم الدخول إلى أصل المطلب والموضوع مباشرة. بالطبع ربّما تكون هناك مقدّمات لازمة في بعض الموارد، ولكنّ الاهتمام بالمقدّمات والفروع يبعث على الملل والتعب في نفس القارىء والكاتب.

يجب أن نسعى التحدّث مع الناس والمخاطبين بلغتهم ولسانهم، ونتجنب التفريعات المصطنعة والملاحظات المغلقة والجملات المبهمة وغير المفهومة ممّا يؤدّي إلى خروج المكتوبة عن البساطة والسلاسة وبالتالي ستتعرض المكتوبة والكاتب إلى ضرر شديد، وطبعاً فالأذواق مختلفة. فالبعض يرى بأننا إذا كتبنا بأسلوب سهل فسوف يتصور الناس أنّ مستوى الكتاب أو الموضوع متدني. فالأفضل كتابة الموضوع بأسلوب مغلق وعبارات معقّدة ليتصور القاري، أنّ مستوى الموضوع عالٍ من الناحيةالعلمية وهذا خطأ فادح وكبير.

الاعتراف بذنب كبير

وأتذكر جيداً أنّ شخصاً أوصى أحد الإخوة بأن يسعى أن يكون ثلث كلامه في المحاضرة غير مفهوم ليقال أنّ الشخص الفلاني يتحدّث بلغة علمية عميقة. وكذلك الحال في عالم الكتابة والتأليف، فالبعض يرون هذه الرؤية أيضاً. ولكنني أعتقد أننا يجب علينا تحطيم هذا الصنم. فهذا الأسلوب يعتبر نوعاً من عدم الإخلاص في المنهج،

أو هو نوع من التضحية بالهدف من أجل بعض الملاحظات الشخصية والاعتبارات النفسانية.

طبعاً فانّ سهولة الكتابة وسلاسة المنطق ربّما تكون لها بعض اللوازم وتؤدّي إلى أن يقول البعض إنّ درس الأُستاذ الفلاني بسيط وغير عميق، أو أنّ كتابه ليس بالمستوى المطلوب، ولكنّ التجربة أثبتت لي أنّ الناس المخلصين يستقبلون مثل هذا الأُسلوب والمنهج في الكتابة والبيان استقبالاً جيداً.

إنني لن أقبل طيلة عمري بهذه التوصية والنصيحة بأن أكتب بأُسلوب معقد وصعب أو أُدرِّس بأسلوب معقد، وقد رأيت نتائج إيجابية وبركات كثيرة على أُسلوبي السهل والسلس، وليقولوا ما يقولون.

مضافاً إلى أنني أرى أنّ التعقيد في الأُسلوب نوع من الشرك وعدم الاخلاص في النيّة بحيث أننا نضحي بمصلحة الناس في سبيل عناوين موهومة، فليس عيباً أن يكتب الشخص بأُسلوب سهل أو يتحدّث في الدرس بأسلوب مفهوم، بل هذا الأمر بحدّ ذاته يعتبر فناً كبيراً، ولو أنني كنت أملك ما يكفي من الوقت فانني سأقوم بإعادة كتابة الكتب الدراسية والعلمية المعقدة مثل (كفاية الأُصول) بأسلوب عربي سهل بدون تغيير في المضمون والمحتوى لأُثبت أنّ أعقد المتون وأصعب البحوث العلمية يمكن بيانها بأُسلوب سهل يفهمها

الطلّاب بيسر وسهولة، وعلى أيّة حال فاذا كانت السهولة والسلاسة في الكتابة أو التدريس عيباً فانني أعترف بهذا العيب والذنب.

ولكنّ التجربة أثبتت لي أنّ الموفقية والنجاح يترتبان على هذا المنهج، وكذلك يترتب عليه الإخلاص والثواب الإلهي.

ولهذا السبب أُوصي إخواني الأعزاء أن لا يتورطوا في هذه المسألة بالوسواس والنوازع النفسانية، فلو تمكّنوا من الكتابة أو التحدّث في المحاضرة بأُسلوب سهل وميسور فعليهم أن يعتبروا ذلك من المواهب الإلهية والنعم الربانيه.

٩. التوكّل على الله من منزلقات القلم

إنني أعتقد بأن الكاتب مهما كان مقتدراً وعالماً وماهراً في فن الكتابة فلابدّ أن يعيش حالة التوكّل على الله تعالى وتفويض الأمر إليه، لأنّه قد يصدر منه بعض أشكال الخطأ غير القابل للجبران، وأنا بدوري أتحدّث عن هذه النعمة الإلهيّة الكبيرة من موقع قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] أحياناً ربّما يحدث أن أكتب موضوعاً أو أُبين ملاحظة بشكل خاطىء وقد يكون ذلك الخطأ كبيراً، وأحياناً يصل الكتاب إلى المطبعة، ولكن تحدث بعض الأُمور بحيث ننتبه إلى ذلك الخطأ ونعيد الكتاب من المطبعة لإصلاحه.

---

١. سورة الضحى، الآية ١١.

وأساساً فانّ تأليف أكثر من ١٤٠ كتاباً لا يمكن أن يسلم من أخطاء كبيرة واشتباهات مهمّة من دون معونة إلهيّة وامداد غيبي. إننا نرى بعض الأشخاص كتبوا كتاباً صغيراً ومع ذلك يبتلون بأخطاء مهمّة. وعلى أيّة حال ما لم يكن الشخص كاتباً فإنّه ربّما لا يصدق بهذا الكلام بدقة. فأنا أعيش حالة التوكّل وقد فوضّت أمري إلى الله تعالى وأعوذ به من الوقوع في هذه الأخطاء والمنزلقات في المستقبل أيضاً «إلهي لا تَكِلنِي إلى نَفسِي طَرفةَ عَينٍ أبداً».

١٠. الاستقامة في تحقيق الهدف[١]

أتذكر أنني كنت أكتب التفسير الأمثل ليل نهار ولم يكن لدي وقت إضافي، وفي أيّام التبعيد والنفي كنت أشتغل بكتابة التفسير الأمثل، لأنني كنت أملك وقتاً كثيراً لهذا العمل. وكان يشترك معي عشرة من الأصدقاء بحيث كان يأتي إلى محلّ التبعيد شخصان منهم على التوالي، وبالطبع كان مجيئهم إلى ذلك المكان يتضمّن مخاطرة ومشاكل سياسية وغير سياسية، ولكن في النهاية كانوا يأتون إليَّ في

١. لا حاجة إلى ذكر أنّ كثرة العمل غير الاستقامة في العمل، فالكثير من الأشخاص النشطين والذين يعيشون الجدّية وكثرة العمل في حياتهم بمعنى أنّهم إذا شرعوا في عمل معين فانّهم لا يتركونه ناقصاً بل يستمرون بهذا العمل حتى النهاية ولكن ربّما يعملون في اليوم الواحد أربع ساعات أو ثمان ساعات في أكثر الأحيان في حين أنّ الإنسان النشيط والفعّال يمكن أن يعمل ستة عشر ساعة في اليوم.

ذلك المكان، وهكذا استمر العمل.

وأحياناً كنت أشتغل بتأليف كتاب وأنا مسافر بالقطار أو في الطائرة ولكن الكتابة في السيارة كانت تواجه بعض الصعوبة فكنت أشتغل بالتفكير وكتابة بعض الملاحظات والنقاط. والكثير من الموضوعات والأشعار كتبتها في أسفاري، وباعتقادي أنّ جميع المؤلفين الكبار هم من الأشخاص الفاعلين والنشيطين.

لم أكن بحمد الله أتعب من العمل، والآن وقد بلغت من العمر ثمانين سنة فأنا أعمل أحياناً في بعض الأيّام مدّة أربعة عشر ساعة في اليوم، وبما أنني أحبّ العمل الدؤوب والفعالية الجادة فانّ هذه الرغبة تسبب زيادة روح النشاط في نفسي بعيداً عن حالة التعب.

ولعلّكم تعجبون ممّا أذكره لكم بأنني أحياناً أغرق في العمل إلى درجة أنني إذا أردت تقليم أظافري فإنني أقوم بتقليم أظافر كفّ واحدة في هذا اليوم ولا أجد وقتاً كافياً لتقليم أظافر اليد الأُخرى، فأُوكل أمرها إلى الغد. وأحياناً لا أجد الوقت لأن أشرب الماء، ولا أحسّ بذلك إلّا إذا اشتدّ بي العطش لأنني لا أجد فرصة في أثناء عملي لشرب الماء، هذه الأُمور قد تورث العجب لدى البعض ولكن بالنسبة إلى الأشخاص الذين يعيشون قريباً من هذه الأجواء فلا يتعجبون من ذلك، والأقرباء والأهل بدورهم يدركون جيداً هذه الحالة.

إنني أسعى مهما أمكن أن أُقلل الاستفادة من بيت المال، ولهذا السبب فانني في حياتي السابقة كنت أعتمد في تأمين مواردي المالية على التبليغ في أيّام شهر محرم وصفر وشهر رمضان المبارك، والبعض منها استلمه كحقوق ولكن بعد أن راجعت تأليفاتي فإني أستلم (حقّ التأليف) من الناشرين لتأمين نفقات حياتي ومعيشتي، وأخيراً لم أكن أقبض حقوقاً شهرية من المراجع، وحتى في هذه المرحلة وهي مرحلة المرجعية فكذلك أعتمد في تأمين نفقات معيشتي من حقّ التأليف لكتبي ومؤلفاتي.

موهبة القلم

إنّ التأليف والكتابة بحاجة إلى باعث نفسي حاله حال سائر الأُمور الأُخرى، فكلما كان الباعث أقوى تحرك الإنسان في خط الإبداع والابتكار بصورة أقوى وأشد، إنّ أفضل قصائد الشعراء ومؤلفات الكتّاب تتعلق بزمان كانوا يعيشون فيه الأمواج العظيمة من العواطف الجياشة والدوافع النفسية القوية في وجودهم الداخلي، ولهذا السبب فالكتب التي ألفتها في حال وجود دوافع قوية كانت بحمد الله أفضل من الكتب الأُخرى.

لا بأس أن أذكر هنا بعض الدوافع التي دفعتني على تأليف بعض الكتب:

كتابي الأول: «تجلّي الحقّ»

بعد مضي عدّة سنوات من دخولي الحوزة شعرت بأنني أمتلك موهبة القلم، وأوّل كتاب صدر من تأليفي هو «تجلّي الحقّ» وقصّة هذا الكتاب هي أنني كنت أُسافر إلى شيراز أيّام العطلة في الحوزة، وفي أحد أيّام الصيف رأيت حركة مثيرة من بعض فرق الصوفية وشاهدت فعّالياتهم ونشاطاتهم الوقحة «غاية الأمر غير ظاهرة للعيان» وطعنهم بمقدّسات الإسلام وتحاملهم على الدين بدلائل غير منطقية وكلمات معسولة. فما كان مني إلّا أن قررت الإجابة عن كلمات هؤلاء وأكتب ما يرد على تخرصاتهم، وهناك شعرت بأنني مكلّف بالدفاع عن مقدّسات الإسلام مهما كان دفاعي قليلاً. فأخذت بمطالعة كتب ومقالات عديدة في هذا الشأن وأمسكت القلم وكتبت «تجلّي الحقّ» وطبعته في ذلك الوقت. ولكنّ نشر هذا الكتاب اقترن بصعوبات كثيرة لأنّ كل كاتب يتورط في مثل هذه المشاكل في كتابه الأوّل وتستغرق معرفة الناس له ولكتابه وقتاً طويلاً ثم يقبل الناس على كتبه وتأليفاته لاحقاً.

بحمدالله نال هذا الكتاب تقدير واعجاب كثير من العلماء بالأخص آية الله العظمى السيد البروجردي ﷺ[1].

---

١. لمزيد من الاطلاع أنظر إلى الفصل، تشويق الأساتيذ والعلماء.

أشباه الفلاسفة

كان لدينا جلسة أُسبوعية مع فضلاء الحوزة العلمية من اصدقائنا الذين كنّا نشترك معهم في المباحثة، ويحضر هذه الجلسة بعض الشخصيات المهمّة منهم: الإمام موسى الصدر وأشخاص آخرون لا أجد مسوغاً لذكر أسمائهم.

وكانت البحوث التي تطرح على بساط البحث تتعلق بالشيوعية حيث كانت الشيوعية تتمدد بسرعة في ذلك الزمان إلى ايران والبلاد الإسلامية المجاروة للاتحاد السوفيتي السابق، «وخاصة أنّ حكومة الشاه كانت تتحرك على مستوى توهين عرى الإيمان والتدين بين الناس» فكان ذلك سبباً في إشاعة الأفكار الماركسية بواسطة حزب تودة الشيوعي الذي كان يتحرك على مستوى الجامعات خاصة وكانت لديهم نشريات وصحف كثيرة اهتمت بترجمة كتابات رواد الماركسية وبعضها كان من كتابات الشيوعيين في ايران.

وأخيراً وصل الأمر إلى درجة التأزم والتسافل بحيث خرج عن حدود البحوث المنطقية وأخذ يتجلى على شكل توجيه الإهانة إلى المقدّسات الدينية من قبلهم لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الإسلام مهما كان ضعيفاً فإنّه يقف سدّاً منيعاً بوجه مطامعهم، وقد امتدت هذه البحوث إلى الحوزات العلمية التي وجدت أنّ وظيفتها التصدي إلى هذا التيار المخرّب.

وكان المرحوم العلّامة الطباطبائي وتلميذه الشجاع المرحوم العلّامة المطهري من جملة الأشخاص الذين تصدوا إلى هذه المسؤولية حيث كتبا «أُصول الفلسفة والمنهج الواقعي» الذي يمثل حصيلة جهد هذين العلمين في هذا المجال.

وقد شرعنا مع أصدقائنا بالتحقيق حول عقائد وأفكار هذه المدرسة وكنّا نبحث في جلستنا الأُسبوعية المواضيع المتعلقة بالماركسية من خلال مطالعة كتبهم لكي نكون على اطلاع كامل بأفكارهم ونظرياتهم ثم نضعها قيد الدراسة والنقد، وقد طلبت من الإخوة الموافقة على أن أكتب بعض المواضيع المتعلقة بالماركسية ثمّ أطرحها في هذه الجلسة لكي يتكامل الموضوع بصورة أفضل، وبالفعل فقد كتبت هذا الكتاب وسمّيته «أشباه الفلاسفة» وذكرت فيه جملة من المواضيع للفلاسفة الماديين وخاصة من أتباع المدرسة الماركسية ونقدتها مستعيناً بالملاحظات التي أوردها الاخوة في تلك الجلسة. ثم عملت على صياغتها بأسلوب قصصي لتكون أكثر جذّابية، وتمّ نشر هذا الكتاب وهو الكتاب الثاني من تأليفاتي، وقد استقبله الناس بشوق بالغ بحيث تكرّر طبعه ثلاثين مرّة تقريباً.

ومن الضروري أن أُشير إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ المرحوم الشهيد المطهري قال لي:

إنني قرأت كتابكم (أشباه الفلاسفة) وبما أنّني أُعجبت به رأيت أن

أُقدمه إلى هيئة الاشراف على أفضل كتاب السنة (وهم هيئة من أساتذة الجامعة) وأرغب أن يطلع طلاب الجامعة على هذا الكتاب ويعلموا بوجود عقول مفكّرة في الحوزة العلمية ينافسون أفضل العقول المفكّرة في الجامعة.

وهكذا قدّم الشهيد المطهري هذا الكتاب وفاز بالجائزة الأُولى وانتخب في تلك السنة على أنّه أفضل كتاب لذلك العام.

وطبعاً هناك بعض الاخوة وبسبب عدم اطلاعهم على محتويات هذا الكتاب بصورة جيدة كانوا يتحدثون عنه من موقع الإشكال والنقد.

مجلة مكتب الإسلام (عين صافية في صحراء الطاغوت)

لقد تمّ إصدار هذه المجلة في مرحلة من أشدّ مراحل النظام السابق ظلماً واضطهاداً على الدين، فلم تكن أيّة مجلة دينية تصدر في جميع مناطق ايران، فكان أن اجتمع بعض الإخوة الأفاضل وعلماء الدين المثقفين فقرروا على إصدار مجلة دينية تتولى أمر التصدي للانحرافات الفكرية والمفاسد الأخلاقية في هذا البلد، وتمّ الشروع في هذه المجلة بعد تقديم معونات من بعض الأخيار وتجّار طهران الذين تكفّلوا تأمين مصروفاتها المالية.

وبما أنّ الناس كانوا متعطشين للمعارف الدينية وللثقافة السليمة

فكانت هذه المجلة بمثابة جرعة الماء للعطشان في الصحراء المحرقة، أو المنار والمشعل للسالك في الظلمات الحالكة، فكان استقبال الناس لهذه المجلة عظيماً جدّاً بحيث لم نتوقع مثل هذا الاستقبال فكان عدد المجلة يزداد بشكل كبير فمن ألفي نسخة في الاعداد الأُولى إلى أن بلغ عدد النسخ في العدد الواحد مائة ألف نسخة وتمّ ارسالها إلى جميع أرجاء ايران من المدارس والجامعات إلى الإدارات والسوق وقد استطاعت هذه المجلة خلق موج كبير في أجواء الثقافة الدينية السائدة.

هذه الحركة الثقافية بدأت في عهد المرحوم آية الله العظمى السيد البروجردي، وبما أنّ مثل هذه الحركات الثقافية تعتبر جديدة في أجواء الحوزة العلمية قلنا لبعض الأصدقاء: لعل آية الله العظمى السيد البروجردي يقف منها موقفاً سلبياً ويخالف إصدار مثل هذه المجلة، فكنّا قلقين في هذا الشأن فقمنا بإرسال المجلة إلى سماحته وانتظرنا جوابه، ولكننا كنّا في غفلة من أنّ هذا المرجع الكبير والمقتدر والذائع الصيت كان أكثر انفتاحاً وثقافة ممّا كنّا نتوقعه ، حيث أرسل إلى بعض الاخوة: إني قرأت أعداداً من مجلتكم الكريمة وهي مجلة جيدة ومفيدة وأنا بدوري سأقف معكم في هذا المشروع، وهكذا كان موقف السيد البروجردي﴿ هذا مؤثراً بشدّة في حركتنا الثقافية لأنّ هذه المجلة كانت تصدر بدون امتياز للنشر خلافاً لما هو المتداول في

عالم الصحف والمجلات، لأنّ الحكومة كانت تمانع من إصدار مثل هذه المجلة وكنّا نتوقع أنّ الحكومة ستبادر إلى كبت هذا الصوت الحر وإغلاق المجلة، وهكذا وقع بالفعل فما أن أحس نظام الشاه بهذه الحركة وأنّ هذه المجلة الإسلامية تحولت إلى رقم صعب ومهم في صعيد الثقافة الدينية والاجتماعية بحيث كان بإمكانها خلق بعض المشاكل للنظام فيما تنشره من أفكار دينية في جميع المناطق، فقد أصدرت الحكومة أمراً بتوقيف إصدار المجلة، ومعلوم أنّ هذا الأمر صدر بذريعة عدم وجود ترخيص رسمي للمجلة، ولو كنّا نتقدم بطلب إجازة إصدار هذه المجلة من الحكومة فسوف لا نحصل عليها إطلاقاً.

لقد تحدثنا في هذا الموضوع مع آية الله العظمى السيد البروجردي، فكان أن استدعى رئيس الشرطة في قم وقال له: عليكم بفتح هذه المجلة فوراً، وبما أنّ نظام الشاه كان يعلم جيداً أنّ تهديد آية اللهالعظمى السيد البروجردي يمثل تهديداً جدياً للنظام، فقد رأيت أنّ رئيس الشرطة أخذ بالبحث عنّي وقال: أرجو منك أن تصدر أمراً بالسماح باصدار المجلة وأنا الآن أمنحكم إجازة شفوية ثم أُلحقها بإجازة كتبية في ذلك، وهكذا تمّ نشر المجلة مرّة أُخرى بدون إجازة رسمية وبقيت مشكلة عدم الترخيص الرسمي إلى وقت طويل إلى أن اشتدت ضغوط المرجعية على النظام فتمّ إصدار الترخيص الرسمي

بالاكراه. واللطيف أنّه قد كتب على ملف المجلة في قسم المطبوعات في وزارة الداخلية ما يلي:

(إنّ هذه المجلة محل عناية آية الله العظمى البروجردي)، وهذا الأمر كان مفتاحاً لحلّ جميع المشاكل.

إنّ أصدقاءنا في المجلة كانوا يمثلون نخبة واعية من رجال الحوزة العلمية الذين أصبحوا بعد ذلك من الشخصيات الكبيرة في الحوزة كالإمام موسى الصدر، المرحوم آية الله الشهيد المطهري، المرحوم آية الله الشهيد البهشتي، والمرحوم آية الله الشهيد مفتح (قدّس سرهم) وحتى بعض الأساتذة الكبار أمثال العلّامة الطباطبائي‏ؒ كانوا يساهمون بدورهم وبمقالاتهم في تفعيل المجلة وتحقيق أهدافها المرسومة، ونحن بعد أن اتصلنا بشرائح مختلفة من أفراد الشعب أحسسنا بأنّ شيئاً ما قد حصل، وهو أنّ هذه المجلة قد عبّدت الطريق للثورة. وكشاهد على ذلك أنّ كثيراً من الشخصيات المرموقة التي تحتل مناصب مهمّة في النظام الإسلامي الحالي كانوا وقتذاك يتصلون بنا ويقولون: نحن من قراء مجلة (مكتب اسلام) ومن صنائع المجلة. والحقيقة أنّها كانت كذلك. فهذه المجلة كانت واقعاً اللسان الناطق باسم الحوزة العلمية في قم المقدّسة. وفي الحال الحاضر فهذه المجلة ما زالت تصدر تباعاً «غاية الأمر أنّ بعض الاخوة تكفّلوا بمسؤولية إصدارها وقد اعتذرت عن الاستمرار في

العمل معهم بسبب الظروف والمشاغل الفعلية الكثيرة»، وبالطبع فانّ المجلة المذكورة لا تصدر الآن بالكمية السابقة لأنّ مجلات إسلامية أُخرى والحمد لله قد سدّت فراغاً في هذا المجال من قبيل المجلات التي تصدر في الحوزة العلمية وخارجها، ولكنّ هذه المجلة كانت الشعاع الوحيد تقريباً في ذلك الزمان شقّ ظلمات الجو الحاكم في زمان الطاغوت».

التفسير الأمثل

لا بأس بأن أذكر لكم الباعث على تأليف (التفسير الأمثل)، فانّ الكثير من طلّاب الجامعات والشباب المثقفين كانوا يأتون إلينا ويطلبون تفسيراً باللغة الفارسية خالياً من التعقيدات في البيان، ففكرت بأن أذكر لهم بعض التفاسير المتداولة، ولكنني كنت أرى بأنّها لا تحلّ لهم أيّة مشكلة.

ومن الطبيعي أنّ الإنسان عندما يجد طلباً من الناس ويرى أنّ مشكلتهم لا تنحل بما هو موجود من التفاسير والكتب فإنّه سيشعر بالمسؤولية الثقيلة على عاتقه وأنّه يجب عليه أن يشدّ العزم والهمة ويقدم على التأليف في هذا المجال، ومن هنا فكرت بكتابة تفسير يحوي دقائق الأُمور التفسيرية للآيات الكريمة وفي نفس الوقت يكون سهلاً ميسوراً ويتضمن كذلك بيان الحلول التي يعيشها الناس

في العصر الحاضر... وأملنا أن يكون هناك تفسير شامل ينفع العلماء الفضلاء وكذلك عامة الناس لا سيّما الشباب الأعزاء وشريحة طلاب الجامعات، مع العلم بأنّ الجمع بين هذه الأُمور ليس بالأمر السهل بل يحتاج إلى توفيق إلهي خاص، فكان أن انتهينا من هذا العمل بحمد الله. ولذلك فانّ أغلب الأشخاص الذين يتحدثون معنا في هذا المجال يقولون: إنّ الغاية قد تحققت في هذا التفسير.

هذا التفسير نتيجة جهد مستمر في خمس عشر سنة بمعونة مجموعة من فضلاء وعلماء الحوزة العلمية في قم، وقد استقبل هذا التفسير من قبل جميع شرائح المجتمع استقبالاً كبيراً إلى حدّ. والآن تجد هذا التفسير في كثير من المؤسسات العلمية والمراكز الثقافية والبيوت، قد تمّ نشره وترجمته إلى لغات مختلفة وفي كثير من بلدان العالم.

والجدير بالذكر أنّ هذه الشجرة الطيبة تفرعت وكثرت أغصانها حيث تمّ اقتباس عدّة كتب من هذا التفسير، منها:

أ) خلاصة التفسير الأمثل (في خمسة مجلدات) وقد طبع هذا الكتاب عدّة مرّات وترجم إلى اللغة الانجليزية أيضاً.

ب) قصص التفسير الأمثل.

ج) لغات التفسير الأمثل (في أربعة مجلدات) ويمثل هذا الكتاب أفضل ما كتب في لغة القرآن.

د) العبادة في التفسير الأمثل (بالفارسية).

هـ) ١٨٠ سؤال وجواب من التفسير الأمثل (بالفارسية).

و) تفسير الشباب (وهو عبارة عن خلاصة لكل مجلد من التفسير الأمثل وقد استقبل من قبل الشباب) وقد نشرت هذه السلسلة باللغة الفارسية.

ترجمة شيّقة للقرآن الكريم باللغة الفارسية

وهذه الترجمة حصيلة جهد عدّة سنوات مع مجموعة من العلماء والفضلاء، تم تدقيقها وتصحيحها عدّة مرات، وقد عرفت في الحال الحاضر من قبل مجموعة من المحققين بعنوان أفضل ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفارسية.

تفسير نفحات القرآن

كتبت أنا ورفاقي الفضلاء بعد التفسير الأمثل تفسيراً آخراً يدعى (نفحات القرآن) وقد كتبته بمنهج التفسير الموضوعي، أي ليس على طريقة ترتيب الآيات والسور القرآنية بل بترتيب موضوعات القرآن. ويقع هذا التفسير في عشر مجلدات ويتضمن مسائل عقائدية ومعارف دينية في مجال العقائد من التوحيد إلى المعاد من خلال استنطاق الآيات الكريمة حيث تمّ التحقيق والبحث في جميع الآيات

التي تتحدث عن التوحيد، والآيات التي تتحدث عن صفات الله، والآيات التي تتعرض إلى النبوة العامة والنبوة الخاصة وهكذا جميع الآيات التي تشير إلى المعاد والإمامة والحكومة الإسلامية وأمثال ذلك، وقد سمعت من بعض الفضلاء قولهم عن هذا التفسير: إنّ هذا التفسير يمثل فعلاً أفضل منبع لفهم العقائد الإسلامية.

وكذلك كتبت وبمساعدة مجموعة من الفضلاء دورة كاملة عن الأخلاق في الإسلام (سواء في المباني أو الفروع) في ثلاثة أجزاء، وقد وضعت بعض أجزائه في الحوزة والمدارس بشكل كتاب دراسي، نال أيضاً مورد إعجاب واستقبال العلماء والمثقفين والناس.

الكتب الفقهية والأصولية

أمّا بالنسبة إلى الكتب الفقهية والأُصولية فهناك دورة في علم الأُصول تدعى (أنوار الأُصول) تمّ تدوينها بواسطة أحد طلابي الذين يحضرون درسي في الأُصول وهو شاب ذكي وجيد الفهم وذو قلم شيّق ويتمتع بالإخلاص والإيمان في عمله، حيث عمل على تدوين وجمع ما ذكرناه في درس الأُصول، وبعد ذلك قرأه عليَّ وأجرى بعض الإصلاحات اللازمة عليه وتمّ طبعه بحمد الله في ثلاثة مجلدات.

أمّا في الفقه فلدينا كتاب «أنوار الفقاهة» والجزء الأول منه يتضمن

كتاب البيع، والجزء الثاني كتاب المكاسب المحرمة، والجزء الثالث كتاب الخمس والأنفال، والجزء الرابع كتاب الحدود والتعزيرات، والجزء الخامس كتاب النكاح.

وكذلك لدينا تعليقة على جميع العروة الوثقى، وهذه التعليقة على العروة شرعت بها قبل عشر سنوات وخلافاً للمعتاد سعيت إلى عدم الاكتفاء والقناعة بالتعليقة على كل كلمة أو جملة تعكس الفتوى الفقهية بل سعيت إلى ذكر الدليل الأصلي على هذه الفتوى لتكون مفيدة بالنسبة لي وللآخرين، أي أنّها تمثل دورة فقهية نصف مستدلة تقريباً. وأنا أشكر الله تعالى عليّ أنّ هذه الجهود أثمرت ولم تذهب هدراً بل بقيت في متناول الطلّاب الأعزاء لينتفعوا بها.

والتأليف الآخر هو دورة «القواعد الفقهية» التي كانت من بداية طبعها ونشرها تمثل إبداعاً في هذا الفن، حيث بحثت فيها ثلاثون قاعدة فقهية لم تبحث بصورة جيدة، لا في أُصول الفقه ولا في أبحاث الفقه، وقد تحملت متاعب كبيرة في جمعها ودراستها قبل أن يخرج كتاب «القواعد الفقهية» للمرحوم العلّامة البجنوردي، وقد ألفتها في جزئين وتكرر طبعها عدّة مرات وكانت محل استقبال جيد من قبل الفضلاء والطلّاب الأعزاء، وأحياناً تعرض بشكل كتاب درسي في بعض الحوزات العلمية.

والتأليف الآخر هو الربا والبنك الإسلامي، ويستعرض أدلة حرمة



الربا والأُسلوب الصحيح للعمليات المصرفية الإسلامية أو البنك اللاربوي، وكذلك يستعرض هذا الكتاب الطرق المعروفة وغير المعروفة للفرار من الربا ويتحدث عن طرق الاستدلال الفقهي لهذه المسألة ويورد الأدلة الصحيحة وغير الصحيحة منها.

وتأليف فقهي آخر هو «التعزير وحدوده» و«الحيل الشرعية والحلول الصحيحة» و«بحوث فقهيّه هامّ»، وفي هذا الكتاب الذي يتضمن ثمانية عشر مسألة فقهية مهمّة ومورد ابتلاء المؤمنين في هذا العصر بشكل مستدل ومفصّل.

ومن الموفقيات الإلهيّة الكبيرة منحها الله تعالى لعبده الفقير عزمت على تدوين دائرة معارف في مجال الفقه المقارن مع خصوصية أنّه مضافاً إلى بيان الأحكام الفقهية على أساس فقه أهل البيت عليهم السلام فإنّه يتطرّق إلىٰ المذاهب الإسلامية بل يتعرض لآراء المقررات الحقوقية المطروحة في المنظمات العالمية في عملية مقارنة بينها واستجلاء عمق ودقّة وسعة فقه أهل البيت عليهم السلام بالمقارنة مع فقه المذاهب والمدارس الفقهية الأُخرى، وتمّ بحمد الله الانتهاء من تدوين الجزء الأول من هذه الموسوعة وارساله إلى المطبعة، وتم تدوين دائرة المعارف هذه بمساعدة مجموعة من العلماء والفضلاء والمحققين في الحوزة العلمية وكان مورد إقبال وإعجاب وحاز في السنة ١٣٨٦ هـ ش على عنوان كتاب العام.

المسائل الفقهية الجديدة

كنت أتوجه في أيّام الصيف إلى مدينة مشهد المقدّسة وأبقى لمدّة أسابيع معدودة وذلك لمدّة عدّة سنوات، وكنت أتـفرغ إلى المسـائل المستحدثة في دروس الفقه لطلاب الحوزة العلمية في مشهد في تلك الفترة، وأعتقد أنّ هذه المباحث تمثل بحراً عميقاً وموضوعاً مهمّاً من مواضيع الفقه، بسبب الظروف المتغيرة في عـنصر الزمـان والمكـان والظروف المعيشية والثقافية للمجتمعات البشرية من جهة، ومن جهة أُخرى فانّ نجاح الثورة الإسـلامية وتشكـيل الحكـومة الإسـلامية تسبّب في خلق مسائل جديدة ومسـتحدثة فـي جـميع المـجالات السياسية والاقتصادية والقضائية في أُمور الطب والصحة والجـريمة وحتى في مسائل العبادات أيضاً.

ونحن نعتقد أنّ فـقهنا بـإمكانه أن يسـتجيب لجـميع الحـاجات البشرية في كل زمان ومكان ولا توجد مسألة في فقهنا بدون جواب، والشاهد على ذلك ما ورد في الأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام في هذا الصدد.

وعلى هذا الأساس يجب على فقهائنا البحث بجدية مـن أجـل استنباط الأجوبة لهذه المسائل من متون الأدلة والمنابع الغنية للـفقه الإسلامي، ونحن بدورنا بحثنا هذه المواضيع المسـتحدثة وتـحركنا للإجابة عن الاسئلة وعلامات الاستفهام الجديدة في دروس الخارج

الصيفية إلى جوار حرم الإمام الرضا عليه السلام وبالاستمداد من روح هذا الإمام العظيم، وتمّ تدوينها وجمعها بصورة كتب متعددة ثمّ طبعها ونشرها، وبحمد الله كانت النتيجة هي هذا الأثر الفقهي الجيد.

ونأمل في المستقبل أن يقوم الفقهاء بدورهم في إيجاد الحلول التي تلامس أزمات المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر وحلّ العُقد المستعصية في الفقه لإثبات أنّ الفقه الإسلامي لا يواجه نقصاً في أي مجال من المجالات وبإمكانه الاستجابة لجميع الحاجات البشرية والاسئلة الفقهية للناس، وهذا بنفسه يشكل علامة من علامات خلود الدين الإسلامي المقدّس.

شرح وتفسير نهج البلاغة

اقترح علينا بعض الأصدقاء من الفضلاء أن نكتب شرحاً وافياً ومبسطاً وبلغة عصرية على نهج البلاغة الذي يتضمن معارف إسلامية وأخلاقية عظيمة ومفاهيم عرفانية رائعة وقوانين حكومية دقيقة.

وبالرغم من أنّ مجموعة من المحققين الكبار في الحوزة العلمية دخلوا معي إلى هذا الميدان وبذلوا جهوداً جبّارة في شرحهم لنهج البلاغة ولبيان أسرار كلمات الإمام عليه السلام والتعمق في مطاوي أحاديثه وكلماته واكتشاف مكنوناتها لعشّاق الفضيلة وطلّاب الحقيقة، إلّا أنّ هذه الشروح رغم كونها جديرة بالشكر والتقدير، ولكنّها محدودة

ومعدودة والغالب عليها أنّها مكتوبة بلغة غير عصرية، رأيت أنّ نهج البلاغة كتاب مظلوم كأمير المؤمنين‌ﷺ، وقد كتب في شرح القرآن الكريم أكثر من ألف تفسير، ولم يكتب على نهج البلاغة إلّا عدد محدود يعدّ بالأصابع، ولهذا عزمت على تأليف شرحاً جامعاً وجديداً لنهج البلاغة واستخراج جواهر هذا البحر المتلاطم من المعارف الإلهيّة والعلوم الربانية.

وقد تحقق بحمد الله هذا الهدف ولبس ثوب الواقع وصدرت منه عشرة أجزاء لحد الآن على الرغم من المشاغل الكثيرة الناتجة عن التصدي لمقام المرجعية، وقد استقبل هذا الشرح استقبالاً كبيراً في الأوساط العلمية والدينية، وانتخب بعنوان كتاب العام.

تربية حراس العقيدة

من جملة الدروس التي شرعنا بها في الحوزة العلمية في قم هو درس العقائد والكلام الجديد.

ولهذا السبب قمت بتشكيل جلستين: إحداهما تختص بدرس العقائد حيث يتمّ استعراض الكلام الجديد والقديم فيها، وشرعنا بتدريس أوّل مسائل علم الكلام، وبما أنّ هذا الموضوع يعتبر جديداً في الحوزة فإنّه وقع مورد استقبال كبير بين الطلّاب الأعزاء، وبالطبع فمن اللازم أن أقول إنّ هذا الدرس كان يتمّ فقط في ليالي الخميس

واستمر لأكثر من ثلاثين جلسة حيث تمّ فيها بيان مواضيع مهمّة من العقائد والتيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية الأُخرى وتمّ تحقيقها ودراستها بصورة منطقية تماماً. وهذه البحوث استمرت لأكثر من ثلاثين سنة وأدّت إلى حصيلة علمية خصبة استطعت أن أجمعها على شكل كتاب. وبما أنّ هذه البحوث قد طرحت أمام الطلّاب والفضلاء في الحوزة العلمية وكان الدرس يتضمن أسئلة وأجوبة فلهذا تعمقت هذه الدروس أكثر، ومن جملة الكتب التي أثمرت عنها تلك الجلسات هو كتاب «خالق العالم» و«كيف نتعرف على الله» و«زعماء العالم» و«القرآن والنبي الخاتم» و«المعاد والحياة بعد الموت» و«الإمام المهدي والثورة العالمية» وكتب أُخرى أيضاً.

الجلسة الأُخرى كانت عبارة عن مجلس خاص يشترك فيه ثلاثون شخصاً تقريباً من الشباب الفضلاء الأذكياء، وقد عملت على تقسيم هذه الجماعة إلى ثمان مجاميع، كل مجموعة تتشكل من ثلاثة إلى أربعة أشخاص يتكفلون بمطالعة أحد المذاهب والأديان السائدة في المجتمعات البشرية. فبعض يبحث في الفكر المادي ويحقق في المذاهب والتيارات المادية، وبعض آخر يبحث في المذهب الوهابي، وهكذا بالنسبة إلى اليهود والنصارى أو الفرق الصوفية أو مذاهب أهل السنة أو البوذائية، ولكل مجموعة كتب معينة ومصادر علمية يرجعون إليها في مقام التعرف على ذلك المذهب، وكل مجموعة أيضاً تعقد

جلسة خاصة ويتداولون فيما بينهم المواضيع والمعارف التي حصلوا عليها ثم يكتبونها في كراس أو رسالة علمية، وأخيراً يشتركون في جلسة مشتركة في ليالي الجمعة ويطرحون مسائلهم عليَّ وتقرأ كل مجموعة ما كتبته على هذه الجمعية المشتركة ويتمّ مناقشتها ونقدها، وهذا العمل بحمد الله أثمر كثيراً واستقبله عامة المثقفين بصورة جيدة وكانت حصيلة تلك الجلسات كتب متعددة من هؤلاء الإخوة المشتركين في هذه الجلسات حيث تمّ طبعها ونشرها.

لقد أدّت هاتان الجلستان إلى إيجاد تغييرات كبيرة في مناهج الحوزة العلمية وخاصة بالنسبة إلى جيل الطلبة الشباب في المسائل الكلامية والاعتقادية وفتحت أمامهم أبواب بحوث جديدة في دائرة العقائد الإسلامية حيث دخلت الحوزة أجواء جديدة من الأفكار والفلسفات الأُخرى.

وأنا لا أدّعي أبداً أنّ هذه النتائج والمعطيات هي حصيلة جهودي فقط بل إنّ الكثير من الفضلاء والعلماء ساهموا في خلق هذا الجو العلمي وأنا بدروي ساهمت معهم، وبحمد الله كانت معطيات هذه الجلسات مثمرة وجيدة للغاية.

ترسيخ أُسس العقيدة

كما أنّ البشر يصير مسلماً وموحّداً فالكتاب كذلك أحياناً يكون

مسلماً موحّداً، أي أنّ هناك بعض الكتب الجيدة والنافعة وتـتضمن مواضيع نافعة ولكنّها أحياناً تـتضمن بعض المنزلقات الفكـرية والإلحادية أو مضادة للأخلاق الإسلامية، فمن اللازم تهذيب مثل هذه الكتب وتطهيرها عن الشوائب لتكون مؤمنة وموحّدة ومفيدة، ومثال ذلك: كتاب لمؤلفه الامريكي «ديل كارنجي» هذا الكتاب مفيد جدّاً للأشخاص الذين يعيشون تعقيدات فكرية وأزمات روحية فيقوم بحلّ هذه العُقد ويورثهم السكينة والطمأنينة.

ولكن مع الأسف يتضمن بعض موارد الانحراف أحياناً، وأساساً فانّ هذا الكتاب يعكس ثقافة الأمريكيين وليس له تأثير إيجابي في أجوائنا الإسلامية، وقد قدمت الكتاب لأحد الإخوة وعرضت عليه طريقة تهذيبه وتطهيره من الشوائب والنقاط السلبية مع الاحـتفاظ بجميع الجوانب الايجابية والأُمور المثمرة، وبعد أن كتبت له مـقدمة طويلة نسبياً قمت بنشره تحت عنوان «طريق التغلب عـلى القـلق واليأس» وكانت لهذا الكـتاب أصـداء جـيدة ومـؤثرة فـي واقـعنا الاجتماعي وأنقذ الكثير من الناس من دوامـة الأزمـات الروحـية والفكرية، ويعد هذا الكتاب من جملة كتبنا النافعة في شفاء النفوس ومعالجة التعقيدات الروحية لدى الأفراد، فعندما يواجه هؤلاء الأفراد هذه الحالات والأزمات النفسية فانّهم يكتبون إلينا بذلك ونقوم بدورنا بإرسال نسخة مجانية من هذا الكتاب إليهم ونوصيهم بقراءته أكثر من

مرّة من أوله إلى آخره بدقّة والعمل بتوصياته، والغالب أنّه مؤثر وذو نتائج إيجابية في حياة الإنسان»

ومن الأعمال ترجمة الكتاب المعروف «أصل الشيعه وأُصولها» للمرحوم آية الله العظمى الشيخ كاشف الغطاء؛ ولكنّه ليس مجرّد ترجمة محضة بل قمت بكتابة مقدّمة وهوامش وخاتمة لهذا الكتاب وبذلك خرج هذا الكتاب بشكل أكمل وأعمق.

عقائدنا، وهذا الكتاب آخر كتب كتبته في مجال العقائد والكلام، والباعث لكتابته هو عندما تشرّفت في الأعوام الأخيرة لزيارة بيت الله الحرام «للعمرة» وشاهدت ما كان يقوم به أتباع الوهابية وبعض الفرق المنحرفة من كيل الاتهامات الزائفة ونفث السموم الخطيرة في المذهب الشيعي، وهذه الأكاذيب والافترات لا تمثّل مذهب الشيعة إطلاقاً ولا يعلم بها علماء الشيعة أنفسهم.

ولذلك عزمت وبمساعدة مجموعة من الفضلاء على كتابة عقائد الشيعة بصورة دقيقة وشيّقة (وبدلائل مقبولة مختصرة)، ومن الواضح أنّ هذا الكتاب عندما يصدر من شخص يعتبر من الكتاب المعروفين ومراجع الشيعة المشهورين يسدّ الطريق أمام الأعداء ويتمّ عليهم الحجّة ويظهر حقائق المذهب الشيعي لمن يطلب الحقيقة.

وقد استقبل هذا الكتاب كثيراً من قِبل المثقفين وأصحاب الاهتمامات العلمية وقد ترجم في مدّة قصيرة إلى أكثر من عشر لغات عالمية.

جلسات في شهر رمضان المبارك والأيّام الفاطميّة

كنت ألقى في شهر رمضان على الطلاّب الأعزاء ـ المتبقين في مدينة قم بعد تعطيل الدروس الحوزوية حيث يسافر أكثرهم إلى التبليغ ـ دروساً في تفسير القرآن ونهج البلاغة أميرالمؤمنينعليه السلام، وكانت حصيلة هذه الدروس و المحاضرات عدّة كتب قام بتدوينها أحد الفضلاء منها: كتاب «الأمثال في القرآن» ويشتمل على ستين مثالاً قرآنياً، وكتاب «الأخلاق الإسلامية في نهج البلاغة» وهذا الكتاب عبارة عن شرح لخطبة الإمام عليعليه السلام الموجّهة إلىٰ همّام في نهج البلاغة والتي تطرق فيها الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام إلىٰ وصف المتقين ١١٠ صفة وعلامة، وكذلك كتاب «آيات الولاية» ويشتمل على الآيات القرآنية في الخلافة والمتعلقة بولاية أهل البيتعليهم السلام، وكتاب آخر «يسألونك» يشتمل على مجموعة من الأسئلة القرآنية سئل عنها النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وأجاب عنها.

ومن جملة الجلسات المعنوية المباركة التي كانت تعقد في منزلي الجلسات في أيّام الفاطمية، وفي هذه الجلسات كنت أتحدث عن بعض ما يتعلق بأسماء النورانية لفاطمة الزهراءعليها السلام، حيث حالفني التوفيق على تدوين وتنظيم هذه المحاضرات في كتاب خاص وطبعه بهذا العنوان «الزهراءعليها السلام سيدة نساء العالمين».

صحيفة جيل الشبّان

لقد تمّ إصدار هذه المجلة في ظروف حالكة جدّاً من ظلم واضطهاد الشاه البهلوي، ولهذا أصدرنا مجلة أُخرى غير مجلة «مكتب اسلام» باسم «نجاة جيل الشبّان» وهي أيضاً بدون ترخيص رسمي وصارت بعد ذلك على شكل مجموعة كتب متنوعة وشاملة، والقسم الأعظم من مواضيع هذه المجلة كان بقلمي والقسم الآخر بقلم الإخوة العاملين معي، هذه المجلة كما يظهر من اسمها، تهدف إلى استعراض قضايا الشباب وحل مشاكلهم وانقاذهم من مستنقعات المفاسد الأخلاقية التي كانت منتشرة في ذلك الزمان، وهذه المجلة تتقاطع مع المنهج السائد لدى الجهاز الحاكم في زمان الشاه، بحيث إنّهم كانوا يشعرون بحساسية فائقة من كلمة «نجاة جيل الشباب» ويقولون: النجاة من أي شيء؟ وما هو الخطر الذي يهدد الشباب في هذا المجتمع بحيث تريدون انقاذهم منه؟ وأُضيف أيضاً أنّهم كانوا يهدفون إلى إضلال الشباب وإيقاعهم في خط الباطل والانحراف والفساد لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الثورة الإسلامية تقوم على أكتاف هؤلاء الشباب، فلو أنّ الشباب سلكوا خط الفساد والانحراف الأخلاقي فإنّهم (الجهاز الحاكم) سيحقّقون هدفهم وينالون مرادهم، وعلى هذا الأساس كانوا يشعرون بالخوف من إقدام البعض على إنقاذ جيل الشباب، وعلى أيّة حال فانّ الناس استقبلوا هذه المجلة

استقبالاً كبيراً لا سيما الشباب، وكنت أشعر بـالسرور لذلك، حـيث كانت تصلني رسائل كثيرة من قبل الشباب كنت أشعر بـالأمل من جهة، ومن جهة أُخرى كانت تحكي عمق الفاجعة التي أصابت شبابنا في ذلك الزمان، وأحد النشاطات المهمّة هو اهتمامنا بالإجابة عن أسئلة الشباب، ولابدّ من القول إنني طيلة هذه المدّة وبسبب اهتمامي الكثير بهذه المسائل أصبحت تدريجياً متخصصاً في قضايا الشباب وعارفاً بما يعيشونه من أفكار وحالات روحية، وأقول أيضاً إنّ هذه المعرفة والتجربة في هذا المجال مؤثرة كثيراً في إصدار الفتاوى المتعلقة بالشباب في هذا الزمان، وأسعى إلىٰ إصدار فتاوى تساهم في حلّ مشاكل جيل الشباب وما يعيشونه من تعقيدات اجتماعية من خلال الاستعانة بالأدلة الشرعية، وأشكر الله تعالى علىٰ أنّ اهتمامي بقضايا الشباب قد فتح لي نافذة على التعرف على هذه الشريحة الفعّالة والحساسة في المجتمع وأُساهم بدوري من موقع الإفتاء وبملاحظة الأدلة الشرعية في حلّ ما يواجهونه من أزمات وعُقد في حياتهم».

أصدرت في هذا الصدد عدّة كتب تتحدّث أساساً عن قضايا تخص الشباب، لأنّ إصلاح هذه الشريحة يؤدّي إلى إصلاح المجتمع، وفسادهم يؤدّي إلى فساد المجتمع وتأخره وانحطاطه، منها: «أنقذوا الشباب» و«ألعاب خطيرة» و«هذه المسائل محل ابتلاء جميع

الشباب» و«الصلاة، المدرسة التربوية العالية».

أعتقد أنّ أهم مشكلة يواجهها الشبّان في عالمنا المعاصر من بين جميع المشاكل المعقدة هي المشكلة الجنسية. ومع الأسف الشديد يجب الاعتراف والاقرار بأنّ هذه المشكلة تتعقد يوماً بعد آخر بعد أن أصبحت حياة الإنسان حياة آلية وبعد أن أحاطها هالة من الغموض بسبب الفترة الدراسية الممتدة لسنوات الطويلة وارتفاع مهور النساء وسن الشبّان للزواج وبسبب التجملات المفرطة والعادات السيئة في الحياة العائلية ممّا أدى إلى تزلزل الحياة الأُسرية وفقدان الثقة بين الشباب والشبات.

أدت هذه المشاكل المعقدة إلى أن أكتب كتاباً على مستوى حلّ مشكلاتهم الجنسية وبيان الانحرافات الجنسية المتفشية بين الشباب ويتضمن الوقاية من هذه المشكلات وبيان علاجها. وقدمت لهم مفاتيح الحلول خلافاً للبعض حيث تصوروا أننا نعيش أزمة مغلقة معهم وأنّ الطريق موصد أمامنا لحلّ مشاكلهم من موقع التفاهم والحوار. أو يتصور أنّ هداية هؤلاء الشباب المرتدين والمنحرفين غير ممكنة. وبحمد الله وقد طبع هذا الكتاب أكثر من ٤٠ مرّة.

أُطروحة الحكومة الإسلامية

لقد كان الكثير من الناس في بداية انتصار الثورة الإسلامية

وتشكيل الحكومة الإسلامية يتساءلون عن ماهية وأركان الحكـومة الإسلامية. ولهذا قمت بالإجابة على هذه مثل هذه التساؤلات بكتابة «أُطروحة الحكومة الإسلامية».

المديريّة والقيادة في الإسلام

عندما طلب مني بعض كبار المسؤولين في حرس الثورة في بداية أيّام الثورة الإسلامية أن أكتب لهم كتاباً ينتفعون به فـي جـلساتهم ودروسهم في موضوع «القيادة الإسلامية» فكلّما فكرت في كـتاب يتعرض لهذا الموضوع لم أجد مثل هذا الكتاب. ولذلك اضطررت إلى تأليف كتاب مختصر في هذا الموضوع بإمكانه أن يكون بمثابة مقدّمة وإطلالة على هذا الموضوع ثـم أضـفت له مسألة «المـديرية» لأنّ القيادة أحد مصاديق المديرية «المديرية في الحرب». وقد طبع هذا الكتاب عدّة مرات ويدّرس الآن في مراكز قيادات الجيش والحرس.

الزهراء ﷺ مظهر «يا من يقبل اليسير»

أتذكر بادرة لطيفة وذلك قبل الثورة الإسـلامية أنّ هـيئة مـحبّي فاطمة الزهراء ﷺ في مشهد كانوا يقيمون احتفالاً في كل عام بمناسبة ولادة فاطمة الزهراء ﷺ في عشرين جمادي الثانية. وأحد ابتكاراتهم في هذا المجال أنّهم كانوا يقدّمون لكل شخص من الحضار علبة من

الحلويات مع كتاب جديد حول عظمة الزهراء عليها السلام وفضائلها، وبذلك يضفون على الحفل البهيج مزيداً من الثقافة الدينية، وقد طلبوا مني تأليف كتاب مختصر في هذا المجال، وقد تمّ طبع هذا الكتاب مع مضامين جديدة وتمّ نشره في ذلك المجلس في مشهد قبل أن ينتشر في مناطق أُخرى، وفجأة وصلت لي رسالة من شخص جليل في إصفهان يقول فيها ما مضمونه: إنّني لا أعلم ماذا صنعت حتى تكون مورد اهتمام وتوجه فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنني رأيتك في عالم الرؤيا في مجلس حافل ومجلل وقد حضر فيه سيد جليل القدر (والظاهر أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله) وقال لي: إنّ الشيخ مكارم قدّم خدمة لفاطمة الزهراء، فاستيقظت من نومي ولم أعلم شيئاً عن تأويل الرؤية، وأُريد أن تحدّثني بالمسألة؟ فتحدّثت بهذه الرؤية لأحد علماء مشهد وقلت له: إنني لم أُقدّم شيئاً سوى القليل جدّاً، فقال: ألم تعلم أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام مظهر الاسم المقدّس «يا من يقبل اليسير»؟!».

المفاتيح الجديدة

سعى عدد من الأعلام طيلة التاريخ الشيعي لجمع الأدعية والزيارات الصادرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى عليهم السلام ليرووا من هذا المعين العذب كافة عشاق مناجاة الله والوالهين لزيارة أولياء الله، ومنهم: المرحوم الكليني والشيخ الصدوق، والسيد ابن طاووس

والعلّامة المجلسي و....

حتّى برز المرحوم ثقة المحدّثين الحاج الشيخ عباس القمّي﴿ره﴾ وقد خاض بما لديه من ذوق متدفق وقريحة شفافة وإحاطة واسعة بتراث أهل البيت﴿عليهم السلام﴾ وكتب الماضين في الأدعية والزيارات في تأليف كتاب الجامع «مفاتيح الجنان» الذي لاقى بفعل إخلاصه في النيّة انتشاراً عالمياً فشق طريقه إلى جميع المساجد والبيوت في مدّة قصيرة.

ولكن حيث ألف هذا الكتاب كسائر أغلب الكتب في ظلّ ظروف زمانية ومكانية خاصة ويخاطب جماعة معيّنة كان لابدّ أن يعاد النظر فيه بصورة شاملة في عصرنا الراهن؛ فتزول نواقصه ويغض الطرف عن بعض مطالبه الإضافية التي يمكن أن تستغل من البعض ويعزز بمدارك ومصادر الأدعية والزيارات و... ويذكر سر الأدعية والزيارات وفلسفتها وبركاتها، ثمّ يتبع تنظيم جديد لينبثق بصيغة كتاب دعاء وزيارة متكامل من جميع الجواب ومتناسب مع عصرنا ولا سيّما لجيل الشباب الموحد.

كنت أفكر بهذا الأمر منذ سنين وأسأل الله أن يوفقني إليه، وبعد دراسة وافية بهذا الخصوص رأيت من الضروري إشراك بعض فضلاء الحوزة العلمية وأجلائها المخلصين في هذا الأمر المهم، والحمد لله فقد رحبوا بالعمل وخاضوا فيه بمثابرة وتحملوا العناء في تنقيح

وتحقيق المباحث، وكنت أشرف على جهودهم طيلة المراحل وأضيف ما كنت أراه ضرورياً. وتم تدوين كتاب «مفاتيح الجديدة» بتلك الخصوصيات المطلوبة.

كتاب عاشوراء

إعتاد أغلب الناس ـ حتى الطلاب ـ على مطالعة الحوادث التاريخية منفصلة عن بعضها البعض؛ الأمر الذي يجعل العديد من الأسئلة دون جواب. والحال ليس التاريخ سوى سلسلة من الأحداث على غرار السلسلة المتصلة الحلقات؛ فلكل حادثة كبيرة أم صغيرة اليوم جذور في الماضي وآثار على المستقبل؛ وكلما كانت الحادثة أكبر كانت جذورها أعمق وآثارها أشمل.

وقد استعرضت الكتب الحوادث الدموية لعاشوراء الغالب بصيغة فاجعة أليمة ومبتورة عن سائر أحداثه التاريخية، وإن أعطت الكلام حقّه في تلك الدائرة. ولكن لو تأملنا جذور هذه الحادثة العظيمة في سالف التاريخ الإسلامي وحتى في العصر الجاهلي والتفتنا إلى آثارها ومعطياتها في القرون الماضية وحتى اليوم لاتضحت عظمة عاشوراء وتجلت زوايا هذه الحادثة كافّة وبانت الردود على الكثير مما يرتبط بها من تساؤلات.

وإثر اقتراح واستعداد بعض الفضلاء والعلماء في الحوزة العلمية

لتأليف كتاب بخصوص نهضة الإمام الحسين‌عليه السلام، رأيت من الأفضل أن يدون هذا الكتاب على ضوء هذه الرؤية لثورة سيد الشهداء‌عليه السلام، بحيث ينطلق من الجذور والدوافع، ثم يخوض في بيان أصل الوقائع بالإستناد إلى المصادر المعروفة والمعتبرة، ويختتم باستعراض آثارها الشاملة ومعطياتها المهمّة، ليتعرّف المجتمع الإسلامي ولاسيما الجيل الجديد على عمق هذه الحادثة الكبرى في التاريخ الإسلامي، ويدرك عظمتها بجميع كياناتها.

وقد وفقنا الله واستعداد هؤلاء الأعزة في تزويدهم بالرؤى العملية للقيام بهذا المُقترح النافع والإشراف على جميع خطواته حتى النهاية، فتمكنوا ولله الحمد من إتقان هذا العمل وإعداد هذا الكتاب الفريد من نوعه بهذا الشأن. إنّه كتاب موثق وشامل للتحليلات المنطقية والعملية تجدر مطالعته من قبل أبناء المجتمع الإسلامي لما ينطوي عليه من فوائد إن شاء الله كما يمكنه أن يكون انطلاقة لمضاعفة الجهود في هذا المجال؛ ذلك لأنّ عاشوراء ذو صلة بجميع العصور والدهور.

سلاح البيان

أنا أعتقد أنّ العالم الذي لا يتسلح بسلاح القلم ويفتقد في نفس الوقت سلاح البيان والخطابة فإنّه لا يمكنه أداء مسؤوليته الرسالية بصورة جيدة، والآن أيضاً أوصي الطلبة الأعزاء والعلماء المحترمين

بهذا الأمر وأنّه من الأفضل ممارسة عملية التبليغ والخطابة لا بلغة واحدة بل بعدّة لغات.

وعلى أساس هذا النمط من التفكير بدأت منذ سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة بممارسة فن الخطابة والتحدث على المنبر حيث كنت أتوجه للتبليغ في شهر رمضان المبارك أو شهري محرم وصفر. وأوّل منطقة ذهبت إليها عندما كنت طالباً من طلّاب العلوم الدينية في شيراز عبارة عن قرية تدعى «جوين» على مقربة من شيراز، وهي الآن تعدّ من أحياء شيراز، وبعدها توجّهت للتبليغ في شهر رمضان المبارك إلى مدينة «فسا» وهي إحدى المدن التابعة لمحافظة فارس، مع إنني كنت على اطلاع جيد في علوم التفسير والعقائد ولكنني لم أكن أجد في نفسي الموفقية في عالم الخطابة وكنت خجولاً جدّاً وأتصور أنني أفتقد البيان الشيّق والجذّاب، فتوسلت بالأئمّة المعصومين عليهم السلام وطلبت منهم نعمة اللسان الناطق الفصيح لأتمكن من تقديم خدمة للإسلام وللمذهب، واستمرت توسلاتي ودعائي حتى أحسست تدريجياً أنني أملك قدرة أكثر على ممارسة الخطابة، وبعد ذلك بلغ بي الأمر أن أكون خطيباً مقتدراً وكان الناس يطلبونني لأقرأ عليهم مجالس الوعظ والإرشاد.

سلامة الجسم والروح

التغذية والتحرّك

كان لدينا طبيب للأسرة قال لي يوماً: إنني أُريد أن أُلخص لك ما تعلمته من تجربتي الطبية في كلمتين، وهما: أنّ رمز سلامة الإنسان في أمرين: قلّة الطعام وفاعلية البدن، فقبلت منه هذه التوصية وكانت لي علاقة منذ بداية حياتي بمطالعة كتب التغذية السليمة والنشاطات الرياضية والبدنية، وبالجملة فانني استطعت التقليل من الطعام وشعرت براحة كبيرة من ذلك، وأتصور أنني أتناول خمسين بالمئة من الطعام الذي استطيع تناوله... وبذلك تزول عني معظم أشكال الكسل التي تنشأ من الأطعمة الإضافية التي لا يستطيع البدن جذبها والاستفادة منها، ولي معرفة واسعة بكتب النباتات الطبية وفوائد الأغذية النباتية، ونستفيد من بعضها لحل المشكلات التي يواجهها بعض المراجعين الذين يسألونني أسئلة كثيرة من هذا القبيل، فأفهم

من مجموع هذه الأسئلة أنّه يجب على الإنسان الاهتمام بتناول الأغذية النباتية والفواكه بحيث أجعل منها قسماً مهماً من طعامي ولا أكثر من تناول الأغذية الحيوانية والأطعمة الدسمة. وهذا يبعث على إيجاد الاستقرار والهدوء الروحي لدى الإنسان.

إنني أتناول من الطعام بمقدار بحيث أنّه لو جاءنا ضيف ومددنا المائدة مرّة أُخرى له وكانت المصلحة تقتضي أن أُشاركه في الطعام فانّي لا أجد مشكلة في ذلك وأمتلك القدرة على تناول الطعام مرّة أُخرىٰ بالمقدار الأوّل!.

الرياضة البدنية

إنني أشعر بالتزام قوي بقضية الرياضة البدنية والمشي على الأقدام، فلابدّ أن أقوم عند الصباح الباكر بالحركات البدنية الخاصة.

بالنسبة إلى فوائد المشي فانني رأيت مسائل وثمرات كثيرة ولذلك فانّي أجد نفسي مواظباً على الاستفادة من هذه الرياضة كل يوم في الأمكنة الخالية والهادئة من المدينة أو خارجها حيث أذهب إلى هناك وأتمشى كل يوم مقداراً من الوقت، وهذا العمل أصبح جزءاً من حياتي بحيث إنني لو امتنعت منه فسأقع طريح الفراش، وقد ساعدني هذا العمل كثيراً في نشاطاتي العلمية بحيث إنني في الحال الحاضر وقد بلغت من العمر سبعين عاماً (والمستقبل بيد الله تعالى) لا أشعر

بأي ألم جسماني في أي عضو من أعضاء بدني، وأحـيانـاً أُمـارس أعمالي وكأنني رجل في الأربعين من العمر حيث أتـحرك فـي أداء مسؤولياتي وفي إطار المطالعة والكتابة وأمثال ذلك.

الاستراحة والترفيه

بالنسبة إلى النوم وا لاستراحة فإنني وبسبب العمل الكثير والفعّالية المستمرة بمجرّد أن أتوجّه للسرير لغرض النوم فإنّ النوم يـمتلكني مباشرة وبعد لحظات، وأحياناً لا استطيع إكمال آية الكـرسي التـي أقرأها قبلب النوم عادة.

إنني أشـعر بـعلاقة شـديدة بـالشعر والأدب، ولذلك فـانّ قـراءة الأشعار والقصائد في دواوين الشعر تمثل ترفيهاً لنفسي لرفع التعب والإرهاق من العمل، وعادةً أقوم قبل مطالعة كتاب وقبل الاستراحة وخاصة بعد الظهر باختيار ديوان حافظ من بين قدماء الشعراء، ومن الشعراء الجدد ديوان شهريار، وكلا الديـوانـين أضـعهما إلى جـانب سريري، فأقرأ مقداراً منهما وأشعر بـالسكينة والراحـة النـفسية ثـم أخلد إلى النوم.

ثلاثة تعاليم مهمّة لحفظ الصحة

إنني أُوصي جميع الطلّاب الأعزاء بثلاثة أُمور:

١. النشاط البدني من الواجبات.

٢. أن لا ينسوا الإعتدال في الغذاء، والاهتمام بتناول الأغذية النباتية، بحيث تشكل هذه الأغذية الأساس والعمدة في طعامهم ولا يتصوروا أنّ اللحوم الحيوانية الدسمة والحلويات تقوي البدن، ولعل البعض يتألمون في البداية من قلّة الغذاء ولكنّهم تدريجياً يعتادون على ذلك ولا يطلبون المزيد، إنّ الكثير من الأشخاص الذين يكون وجودهم مليئاً بالبركة والخير للإسلام والمسلمين، ولكن مع الأسف عندما تنضج قابلياتهم وتتكامل قواهم ويبرزون للناس ويُعرفون بالعلم والصلاح ويكون لهم أثر وصيتاً في الحوزات العلمية فإنّهم يصابون بالذبول وتخفت قواهم ولا يتمكن الناس من الاستفادة منهم استفادة جيدة، وهذا الأمر يمثّل خسارة كبيرة للعالم الإسلامي، وعلى هذا الأساس ينبغي السعي من باب مقدّمة الواجب في حفظ الصحة والسلامة للفرد ولا يهمل هذا المعنى أو يقصّر في اتخاذ ما ينبغي له.

٣. كما ورد في الحديث الشريف أنّه يجب على الإنسان من أجل تجديد قواه أن يهتم بعامل الترفيه والاستراحة وأن يرى ذلك بعنوان العبادة ومقدّمة للواجب، وقد ذكر لي أحد الأطباء في شيراز: أنّك إذا أردت أن تعمل كثيراً في الليل والنهار فلا أمنعك من ذلك ولكن عليك أن تجعل في الأسبوع يوماً واحداً للاستراحة المطلقة وتفرغ من جميع أعمالك الفكرية ونشاطاتك العلمية.

وأنا بدوري أسعى للعمل بتوصية هذا الطبيب، ولهذا السبب فانّي أمتنع من ملاقاة الناس في يوم الجمعة وأسعى حدّ الإمكان أن أخرج من المدينة إذا كان الجو مساعداً، لأنّ بقائي في البيت وكثرة الاتصالات الهاتفية يخلق مشكلة في استراحتي هذه، ولكن أحياناً أضطر إلى العمل خلاف هذه الوصية وأقوم بأداء بعض الأعمال التي أُجبر على القيام بها في يوم الجمعة ولهذا لا يكون برنامجي كاملاً مع الأسف.

☙❧

رمز الموفّقية

إنّ أحد الأمور التي كانت بالنسبة لحياتي الخصوصية والاجتماعية مصدر إلهام، هذه العبارة القصيرة من الآيات القرآنية حيث تقول: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾[1] ، فتقرر هذه الآية الشريفة أنّ رمز النجاح والموفقيّة في حركة الحياة يكمن في أمرين: الجهاد والسعي الدائب (جاهدوا) واخلاص النيّة (... فينا)، وأشعر بالرغبة دائماً في تجسيد هذه الآية في مقام العمل والممارسة. فلا يحالفني التعب من السعي وبذل الجهد، وفي نفس الوقت أسعى لتكون نيّتي خالصة، لأنني أعتقد أنّ الهداية الإلهية تقوم على هذا الأساس، وأرى أنّ هذا المضمون يمثل تجربتي الأساسية في حياتي، وكذلك أعتقد أنّ مقولة أميرالمؤمنين ﷺ أيضاً مصدر إلهام في حركة حياتي حيث أعيشها بجميع وجودي، وهي قوله ﷺ: «كلّ شيء من الدنيا

---

١. سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

سماعه أعظم من عيانه» فمسألة «الشهرة» تعتبر إحدى المسائل التي سماعها من بعيد أعظم من عيانها، فعندما نقترب منها لا نرى فيها سوى مجموعة صغيرة من التعقيدات الذاتية، «المرجعية» لها رنين وأبهة من بعيد، ولكنّها من حيث كونها مقاماً دنيوياً يحصل عليها الإنسان ليست كذلك حيث يراها هذا الإنسان بعد الابتلاء بها أنّها تمثّل دوامة من المشاكل والتعقيدات، إنّ العناوين الدنيوية براقّة من بعيد ولكنّها ليست كذلك عندما نقترب منها، بخلاف الآخرة والمسائل المعنوية التي تكون رؤيتها عياناً أعظم وأهم كثيراً من سماعها.

من الأُمور التي نواجهها في حياتنا الاجتماعية (وخاصة في الظروف الحالية) كثرة حوائج الناس وتوقعاتهم من رجل الدين، ولست أشعر بذلك لوحدي بل إنّ كل من يستلم مقاماً معيناً فانّ سيل التوقعات وطلبات المحتاجين وأحياناً غير المحتاجين تتجه إليه، وهذه التوقعات من السعة بحيث إننا لا نتمكن من الاستجابة لها بالإمكانات المتواضعة التي لدينا، فهنا لابدّ من العمل بالحديث النبوي المعروف: «إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»[١] فالكثير من الأحيان نتوجّه للمراجع والسائل ونقول له: «أرجو المعذرة فإنني لا أستطيع حل مشكلتك للسبب الفلاني وأنا أشعر بالخجل لذلك»، وأسعى لكسب ودّه ورضاه بأمثال هذه الكلمات،

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٨٣، ح ١٩.

وأتذكر نصيحة من المرحوم آية الله كلبايكانى في هذا الصدد حيث قال: «لا تحرموا المراجعين من قضاء حاجاتهم ولو بمقدار قليل» فأنا أسعى للعمل بهذه النصيحة في حياتي وأعمل على تجسيدها في الواقع والممارسة وقد رأيت ثمارها وثمار العمل بها أيضاً.

ﮜ ﮝ

الآمال والطموحات

إنّ أملي الوحيد أن أتحرك فيما تبقى من عمري من أجل المعارف الإلهيّة، وأصل إلى مرتبة من العلم بحيث يشع نور اليقين على قلبي بلطف الله تعالى وأعيش الطمأنينة والسكينة الروحية في ظل الشهود القلبي ويمتلأ وجداني من الإيمان واليقين والعشق لله بحيث يتطهر من كل شائبة ومن كل ما سوى الله، هذا هو أول وأكبر أمل في حياتي والذي سألت الله أن يرزقني ويمنحني هذه الأُمنية ما دمت في الحياة بحيث أصل إلى مرتبة أن لا أرىٰ عندها سبباً آخر في هذه المواهب والنعم غيره.

والأمل الآخر الذي أعيشه في حياتي أن أتمكن بمساعدة الإخوة الأعزاء في الحوزة العلمية من إيجاد تحوّل واسع وعميق في الحوزة، وبذلك أُحقق مضمون الحديث الشريف الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ستخلو كوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحـيّة فـي

جحرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتّى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدّين، حتّى المخدّرات في الحجال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا... فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب»[١].

وهكذا أجد أنّ أملي القلبي أن أجسّد هذا المضمون على أرض الواقع وأحقق النبوءة المهمّة لأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وأملي الآخر أن أتمكن من استثمار هذه الفرصة المناسبة جدّاً في أجواء عالمنا المعاصر لإيصال صوت الإسلام إلى جميع أقطار المعمورة وبلغات مختلفة ومن خلال المبلّغين الجيدين، وقد كانت الحوزة العلمية مركز التحقيق في فقه آل محمد صلى الله عليه وآله ومعدن علوم التفسير والعقائد والحديث، وعلينا استثمار القابليات والطاقات المبدعة والممتازة في الحوزة العلمية من داخل ايران وخارجها ونعمل على تربيتهم وإيجاد تحوّل كبير في العالم الإسلامي.

والأمل الآخر هو أن نتمكن، من أجل حفظ ثقافتنا الإسلامية في مقابل الهجمة الثقافية الغربية المخربة، من التحرك على مستوى إيجاد مواقف مؤثرة ونشاطات مثمرة وخاصة على مستوى الشباب لنحفظهم من هذه الهجمة الثقافية الشرسة ونتمكن من إيجاد الوحدة بين الحوزة والجامعات لأنّ خطر الغزو الثقافي في الجامعات أكثر من

---

١. بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٢١٣.

أي مكان آخر. ونتمكن بالتالي من تجسيد ونشر الأخلاق الإسلامية في مفاصل المجتمع بهدف حل الكثير من مشاكل الناس في مجال الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والروابط الأُسريّة.

وأملي الآخر أننا نعيش في الحال الحاضر ونرى أنّ الناس وخاصة المستضعفين منهم يواجهون مشكلات عديدة. فعلى رجال الدين الاقدام لحلّ هذه المشاكل مهما أمكنهم ذلك أو المساعدة في حلّها فانّ لذلك أثراً إيجابياً كثيراً على التزامهم الديني وتوجههم القلبي نحو الدين، وحينئذٍ يكون الإسلام هو المنقذ في أُمور دينهم ودنياهم.

وأملي الأخير هو أنني أتمكن فيما بقي من عمري أن أقوم بتأليف كتب علمية أكثر وأعمق وأشمل من السابق. ولعل ذلك يكون وسيلتي للنجاة غداً حيث يقرأوها الناس بعد ذلك ويترحمون عليَّ ويطلبون لي من الله المغفرة والرحمة، وأنا على يقين أنّ ما عملته لحدّ الآن لم يكن شيئاً يستحق الذكر. وليتني استطعت أن أُقدم للإسلام شيئاً مهماً، وعلى أيّة حال فإنّ أملنا كبير بالله تعالى وبلطفه وليس لنا أمل ورجاء إلّا بلطف الله وعنايته».

ꕤ

الموعظة والنصيحة

إنّ الكثير من الأعزاء، وخاصة الشباب، عندما يأتون إلينا ويطلبون الموعظة والنصيحة المناسبة لتكون كالمصباح المنير في طريق سلوك المعرفة الإلهيّة وليفتحوا طريق القرب الالهي في حركتهم المعنوية (ويتصورون أننا سلكنا هذا الطريق بكل تفاصيله وأزقته وأننا على معرفة بتعقيداته ومشكلاته، وليت الأمر كان كذلك).

ولكن بما أنّ كل طلب لابدّ له من جواب مناسب ولاسيّما بالنسبة إلى طلب أهل الايمان والسالكين طريق الحقيقة وسبيل المعرفة، فلا ينبغي رد طلبهم، وهنا أتقدم لهم من خلال الاستفادة من آيات القرآن المبين وكلمات المعصومين عليهم السلام وحالات العظماء من علماء الدين والتجارب التي عشتها في حياتي أُقدمها كبضاعة مزجاة في هذا التقرير المختصر وأرجو من جميع الأعزاء أن لا ينسوني من دعائهم كما أنني لا أنساهم من الدعاء لهم دائماً بالموفقية:

١. تقوى الله

قبل كل شيء أُوصي نفسي وجميع الأعزاء بتقوى الله التي هي الحصن الحصين والقلة القوية الإلهيّة وزاد يوم المعاد بل (خير الزاد إلى خالق العباد). التقوى التي لا تمثل حركة طارئة في حياة الشخص بل تمتد إلى أعماق روحه وتصبغ جميع وجودنا بصبغتها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبغَةً...﴾[١] إنّ مثل هذه التقوى بإمكانها أن تمنحنا الجهة التي نتوجه إليها في أهدافنا القريبة والبعيدة وتشخص لنا مسيرتنا في حركة الحياة وتكشف لنا عن مطبات الطريق وغوامض السبيل.

هذه التقوى التي تمثل أكبر رأس مال للإنسان وأعلى وسام يفتخر به، وهي الملكة التي تربط الإنسان بخالقه وتوصله إلى مقام العبودية الخالصة بحيث يسمع هذا النداء من أعماق قلبه: «إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّا»[٢].

٢. المقامات المادّية أقل شأناً ممّا نتصور

أيّها الأعزاء! لقد جربت في هذا العمر القصير المعالم المرّة والتحديات الصعبة في الحياة ورأيت ما تتضمنه الحياة من تعقيدات وصعوبات وجرّبت العزّة والذلة والشدة والراحة، وأخيراً لمست هذه

---

١. سورة البقرة، الآية ١٣٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤٠٢، ح ٢٣ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الحقيقة القرآنية بجميع وجودي: ﴿وَ مَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1]. أجل الدنيا متاع غرور وخداع وهي فارغة وموهمة وزائفة أكثر ممّا نتصور.

إنّ الأمر الوحيد الذي يمنح هذه الحياة معنىً خاصاً ومفهوماً جميلاً هو الاعتقاد بالحياة الأُخرى بعد الموت. فلو لم تكن هناك حياة بعد الرحيل من هذه الدنيا فلا يبقى معنىً ولا مفهوماً ولا هدفاً لهذه الدنيا.

إنني لم أجد في جميع سنوات عمري شيئاً ذا قيمة سوى ما كان يتصل بالأبعاد المعنوية والقيم الأخلاقية للإنسان. فجميع القيم المادية تنتهي إلى سراب بقيعة، والناس نيام والتخطيط للدنيا رسم على الماء، والإنسان يعيش في هذه الدنيا في تعب دائم ومشقة مستمرة.

إنّ أطفال الأمس هم شباب اليوم، وشباب اليوم هم شيوخ الغد، وشيوخ يضطجعون غداً تحت التراب وكأنّهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً، عندما أمرّ إلى جانب بيوت كبار العلماء أو الشخصيات المهمّة في الأزمنة السابقة يتبادر إلى ذهني أنّ هذه البيوت كانت في زمن معين تغص بالرجال ومعمورة بالحركة والنشاط والضوضاء، وما أكثر الأنظار التي كانت متوجه إلى هذه البيوت من موقع التعظيم والتبجيل، ولكنها اليوم تلبس ثياب النسيان وترتدي حلّة غبار الزمان وتسكن

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

في صمت رهيب، وأحياناً أتذكر الحديث الشريف لأمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال: «فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيا عُمّاراً وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ داراً»[1].

إنني أرى رفاقاً يسيرون بقامات منحنية متكئين على العصا ويخطون خطواط قليلة ويقفون للاستراحة وهكذا يخطون خطوات أُخرى، وفجأة تتجسد أمامي مرحلة الشباب التي كانوا يعيشونها وما كانوا عليه من قامات منتصبة نشاطاً وحركة وفاعلية، وحالات الفرح والضحك التي كانوا عليها في جلساتهم، ولكن اليوم نرى غبار البؤس والضعف على قسمات وجوههم، وتتجلّى سيماء الحزن والكآبة على محياهم وكأنّهم لم يذوقوا طعم الفرح والسرور في السابق.

وهنا يتجلّى لنا مفهوم الخطاب الإلهي في القرآن الكريم: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[2] فنشعر هذا المعنى بجميع وجودنا وإنني مطمئن إلى أنّ الآخرين عندما يصلون إلى ما وصلت إليه من العمر فانّهم سيجدون صحة ما أقول إذا تأملوا فيه قليلاً. ومع هذا الحال لماذا نرى كل هذه النزاعات وحالات الصراع من أجل المال والمقام والجاه؟ ولماذا هذا التنافس في الحطام الزائل؟ ولماذا نعيش كل هذه الغفلة عن المصير؟

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٨.

٢. سورة العنكبوت، الآية ٦٤.



ولاسيّما أنّ الإنسان يعيش في العالم المعاصر متغيرات سريعة وتحولات هائلة في جميع المجالات.

إنني أعرف بعض العوائل الذين كانوا يعيشون بالأمس سوية وكانوا على مقدار كبير من الوجاهة والمكانة الاجتماعية واليوم نراهم متفرقين أشتاتاً فأحدهم يعيش في أمريكا، والآخر في اروبا، والآخر في مكان آخر وقد بقي الوالدان في البيوت كالغرباء، وأحياناً تمرّ شهور عديدة بدون أن يصل خبر من الأبناء ولا أنّ الأبناء يصل إليهم خبر عن الآباء، وهنا أتذكر ما ورد في كلمات إمامنا النوارنية: «إنَّ شَيْئاً هٰذا آخِرُهُ لَحَقيقٌ أنْ يُزْهَدَ فِى أوَّلِه»[1].

أحياناً أتوجه لزيارة الأموات وخاصة مقبرة العلماء والفضلاء، وأتعجب كثيراً من وجود مجموعة كبيرة من الأصدقاء والأحبة القدماء نيام في هذه المقبرة حيث توجد صورهم التي أعرفها على جدار المقبرة وهنا أذهب وأتوجه إلى أعماق التاريخ وأتصور أنني من بين هؤلاء، ثم أرجع إلى نفسي وأجدها على قيد الحياة».

٣. دور التجارب!

أيّها الأعزاء! إنّ الحياة ليست سوى تجربة، التجربة التي بإمكانها إصلاح أخطاء الإنسان وإرشاده إلى سلوك طريق أفضل في حركة

---

١. بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٠٣، ح ٩١ عن موسى بن جعفر ٧ قاله عندما وقف على قبر.

الحياة، والتجربة تظهر للإنسان حقائق الحياة بصورة شفافة وجليّة وتزيل عنها عنصر الإبهام والغموض الذي يغطي ملامح هذه الحياة.

ومن هنا نرى أنّ بعض الحكماء طلب من الله أن يمنحه عمرين: يتحرك في الأول من موقع التجربة، وفي الثاني من موقع الاستفادة من هذه التجربة.

ولكن بما أنّ العمر الثاني ليس سوى سراب وحلم وعندما يصل الإنسان إلى مستوى من النضج والمعرفة يصل حينئذٍ إلى نهاية المطاف ويجد نفسه في آخر الخط.

فلابدّ من سلوك طريق آخر، وهو الطريق الذي أرشدنا إليه مولى المتقين وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حيث وضع أمامنا الحل لمشكلة العمر الثاني بأفضل صورة وذلك عندما يوصي ابنه العزيز الإمام الحسن ويقول:

«أي بُنيَّ إنّي وإن لم أكن عمرت عمر مَن كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسِرت في آثارهم، حتّى عُدتُ كأحدهم بل كأنّي بما انتهى إليَّ من أُمورهم قد عُمِّرتُ مع أوّلهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمرٍ نخيلته»[1].

أيّها العزيز! إنني أقول لك مؤكداً أن تهتم كثيراً من بين جميع

---

١. نهج البلاغة، وصية الإمام للحسن المجتبى عليه السلام، الرسالة ٣١ (مع الاقتباس).

تواريخ المجتمعات السالفة بما ورد في القرآن الكريم من حالات الأنبياء الإلهيين وأقوامهم السالفة حيث تتضمن حقائق عظيمة تمثل زاداً ومتاعاً مهماً للسالكين في خط العبودية والإيمان والانفتاح على الله، ولكن هناك فئة من الناس يعيشون اللجاجة واعوجاج الذوق وضيق الأُفق ويتوقعون أن يجربوا كل شيء بأنفسهم لكي يقبلوا به وليس من المعلوم ما هو السبب الذي يدفعهم إلى إنكار تجارب الآخرين والاستفادة منها، في حين أنّ أعمارهم لا تكفي لأقل القليل من ذلك، فهؤلاء الجهّال لم يجرّبوا لحدّ الآن سوى عدّة مسائل وتنتهي أعمارهم وقبل أن يصلوا إلى مرتبة من الكمال والنضج والمعرفة يغادرون هذه الحياة بأيدٍ فارغة.

أيّها العزيز! لا تكن كذلك، بل كن من أُولي الألباب الذين يصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] ولا تنسَ بالأخص قراءة ومطالعة حالات العلماء السابقين وكبار رجال العلم والأدب والتقوى والسلوك إلى الله فانّ في حياتهم وسلوكياتهم نقاطاً مضيئة وملاحظات عجيبة حيث تمثل كل واحدة منها درّة يتيمة وجوهرة غالية، فإنني استفدت من مطالعة حالاتهم تجارب كثيرة ومهمّة.

---

١. سورة يوسف، الآية ١١١.

۴. جبران الأخطاء

الخطوة التالية هي أن نعلم أنّ الإنسان جائز الخطأ ويقع دائماً في معرض أنواع الانحرافات والأخطاء سوى المعصومين﷨.

المهم أن يهتم الإنسان بعملية إصلاح هذه الأخطاء ولا يتعامل معها من موقع الافراط والتعصب واللجاجة، ولا يحسن الظن بنفسه ويغض النظر عن أخطائه وذنوبه فانّ ذلك يعدّ من أكبر الذنوب وأعظم الأخطاء.

وحتى الشيطان فمع أنّه ارتكب أكبر الذنوب والخطايا واعترض على حكمة الله تعالى ورأى أنّ السجود لآدم غير سديد، وتمرد على الأمر الإلهي غاية التمرد والعناد، ولولا أنّ حجاب التعصب والعناد قد غطى على عقله وبصيرته وركب مركب الكبر والغرور فانّ باب التوبة والإنابة سيكون مفتوحاً أمامه.

ولكنّ عنصر الغرور والعناد أدّى إلى أن لا يتحرك في خط التوبة والإنابة، وليس هذا فحسب بل حمل على عاتقه أثقال ذنوب جميع العصاة والمتمردين، فما أثقل هذا الحمل الذي لا يتمكن على حمله الإنسان!!

لهذا السبب نرى أنّ أميرالمؤمنين﵇ يقول في خطبة القاصعة: «فَعَدُوُّ اللّٰهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ»[1]. فينصح

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.



الإمام ﷺ جميع الناس بأن يأخذوا العبرة من حال إبليس وكيف أنّه خسر حصيلة آلاف الأعوام من العبادة والعبودية بسبب ساعة من التكبر والغرور والعناد حيث أورثه ذلك أن يُطرد من أجواء عالم الملكوت ومن الملائكة ليصل إلى «أسفل السافلين».

أيّها العزيز! إذا صدر منك زيغ أو خطأ وارتكبت الذنب والمعصية فتحرك من مكانك بشجاعة وقف أمام الله تعالى واعترف له بالذنب والخطأ وقل له بصراحة: إلهي لقد أخطأت في عملي هذا فأعتذر منك وأطلب المغفرة والصفح وأن تخلصني من مصيدة الشيطان وهوى النفس إنّك «أرحم الرّاحمين» و«غفّار الذّنوب».

إنّ هذا الاعتراف بحدّ ذاته يمنحك الطمأنينة ويكشف أمامك طريق الصلاح والقرب الإلهي.

وبعد ذلك عليك أن تتحرك في خط إصلاح الماضي وجبران الخلل، واعلم أنّ هذا العمل لا يقلل من شأن الإنسان ومقامه، بل بالعكس فإنّه يزيده كرامة وشأناً وقيمة.

إنّ طريق القرب من الله تعالى لا يجتمع مع عنصر التكبر وحالة العناد، فالكثير من الأشخاص الذين كان بإمكانهم سلوك طريق الهدى والوصول إلى مراتب معنوية سامية ولكنّهم بسبب هذه الرذيلة الأخلاقية (الغرور والعناد) فانّهم تنكبوا عن الطريق وسلكوا في خط الضلالة والانحراف.

إنّ حالة التكبر والغرور والعناد ليست لا تمثّل مانعاً أساسياً في طريق تهذيب النفس فحسب بل تصد الإنسان من الصعود في درجات العلم وتحرمه من التوفيق والنجاح على مستوى الأُمور الاجتماعية والسياسية والعلمية أيضاً. إنّ مثل هذا الشخص يعيش دائماً في عالم من الأوهام والخيالات الواهية وينتهي عمره وهو حائر في عالم الأوهام، والعجيب أنّ هذا الإنسان يبحث دائماً عن عوامل فشله من خلال الأسباب الخارجية، في حين أنّ العامل الأساس لفشله وعدم موفقيته في حركة الحياة يكمن في أعماق نفسه ولكنّه يقوم بإسقاط هذه الحالة الذميمة على الوسائل والأسباب الخارجية فيزيد من ضلالته وتخبطه في متاهة الأهواء.

٥. ينبغي التقدم كل يوم خطوة جديدة إلى الأمام

أيّها الأعزاء! إنّ أوضح معالم الموجود الحي هو النمو والرشد، ففي كل وقت يتوقف هذا النمو فحينذاك يكون قد اقترب الأجل، وعندما يجد الكائن الحي نفسه في منزلقات الانحطاط فانّ ذلك يعني بداية موته التدريجي وهذا القانون حاكم على حياة الإنسان المادية والمعنوية بل حاكم أيضاً على المجتمع البشري (فتدبر).

ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقيقة فلابدّ من القول إننا إذا لم نتقدم كل يوم إلى الأمام ولم نتحرك في خط التكامل الأخلاقي

والأدب والطهارة والإيمان باستمرار ونجد حالنا لا يختلف في هذه السنة عن السنوات السابقة فانّ ذلك يعني خسارة عظيمة في وجودنا وأننا قد ضللنا الطريق وسلكنا طريق المتاهة والانحراف، وحينئذٍ لابدّ من أن نشعر بالخطر المحدق ونعيش الخوف والقلق من هذه الحالة.

وقد ذكّرنا إمامنا الكبير أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا المعنى بأجمل بيان وأبلغ كلام حيث قال في حديثه المعروف: «مَنِ استوىٰ يَوْمٰاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ»[1] «وَمَنْ كانَ فِي نَقْصٍ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ»[2]. لأنّه يفقد من رأسماله وعمره بدون أن يكسب شيئاً في تجارته وليس له سوى الحسرة والحزن في آخر المطاف.

ومن كان حاله إلى النقصان والتسافل والانحطاط فالموت له أفضل من الحياة، لأنّ الموت حينئذٍ يمثّل حال التوقف عن النقصان، وهذا بنفسه نعمة كبيرة.

إذا كان السالك إلى الله والعارف بالله يرى ضرورة «المشارطة» في صباح كل يوم و«المراقبة» في طول ساعات ذلك اليوم، و«المحاسبة» ثم «المعاقبة» في أخر الليل فانّ ذلك كفيل بإزالة حجاب الغفلة عنه وعندما يقع في الخطأ ويرتكب بعض المخالفة فإنّه يتحرك فوراً

---

١. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ١٧٣، ح ٥.

٢. المصدر السابق، ج ٦٧، ص ٦٤، ح ٣.

لجبران هذا النقص والخلل في مسيرته المعنوية، وبذلك يعيش كل يوم أفقاً جديداً من الأنوار وتنفتح أمامه نوافذ جديدة للأنوار الإلهيّة ويعيش كل يوم موهبة جديدة ونعمة إلهيّة كما هو حال أهل الجنّة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[1].

ولهذا أيّها العزيز! لا تغفل عن أحوالك وعن هذه التجارة الكبيرة برأسمال عمرك واستبداله بقيم ثمينة ومواهب جليلة، وكل إنسان يمكنه أن يحصد أرباحاً كبيرة بهذا العمر القصير ولا يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ﴾[2].

ولا تغفل أيضاً عن محاسبة نفسك، وعليك أن تحاسبها في كل شهر وكل يوم قبل أن تُحاسَب على أعمالك.

٦. التشبّه بالجماعة يورثك الفضيحة!

أيّها الأعزاء! إنّ كثيراً من حالات الامتحان الإلهي للإنسان أن يجد الفرد نفسه سواءً في داخل البلاد الإسلامية أو خارجها وهو يعيش مع جماعة متحللة وغير ملتزمة ديناً ويوسوس له الشيطان بأن يكون مثلهم، ومن هنا تنطلق شرارة الهوى ويجد الإنسان نفسه مضطراً إلى التشبث بهذه الجماعة ويبرر سلوكه هذا بمختلف أشكال

---

١. سورة مريم، الآية ٦٢.

٢. سورة العصر، الآية ٢.

التبريرات الواهية والأعذار السقيمة.

إنّ ميزان الرشد الأخلاقي يكمن في استقلال شخصية الإنسان وتفتح عنصر الايمان في قلبه ووجدانه، وفي مثل هذه الأجواء، فالأشخاص الذين يميلون مع كل ريح فانّهم سيغرقون في دوامة الفساد وتكون الفضيحة في النهاية حيث يرون أنّ التشبّه بجماعة الملوثين تحفظهم من الفضيحة، إنّ مثل هؤلاء الأشخاص لا يجدون لأنفسهم قيمة وقد قنعوا من جوهر الإنسان ولبابه بالقشرة والصدف.

ولكنّك أيّها العزيز! عليك بأن تظهر قيمتك وشخصيتك في أجواء هذا المحيط السافل وأبرز قدرة إيمانك وتقواك واستقلال شخصيتك إليهم، واعلم أنّ التشبّه بالجماعة سبب الفضيحة.

إنّ الأنبياء والأولياء والسالكين طريق الحقّ كانوا يواجهون غالباً هذه المسالك ولكنّهم كانوا يتخذون موقف الصبر والاستقامة والمثابرة بحيث لم يتشبّهوا بالمحيط الاجتماعي ويتأثروا بالأجواء الحاكمة على أقوامهم، ليس هذا فحسب بل تحركوا على مستوى تغيير ذلك المحيط الفاسد والتأثير عليه وجعله مشابهاً لهم ومسايراً لحركتهم التوحيدية.

إنّ التشبّة بالمحيط والتلون بلون المناخ الاجتماعي يجعل الإنسان عديم الإرادة وضعيف العزيمة ولكنّ بناء أجواء جديدة وإيجاد تحول إيجابي في الواقع الاجتماعي فانهّ لا يصدر إلّا من المؤمنين الشجعان



وأصحاب الإرادة والقدرة الروحية الكبيرة.

إنّ منهج الفئة الأُولى يتلخص في التقليد الأعمى وهو: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾[1]. في حين أنّ منهج الفئة الثانية يكمن في التفكر والتدبر والإختيار المناسب وشعارهم هو: ﴿لَّاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[2].

أجل، إنّ روح القدس يسارع في بذل المعونة إليهم وتقوم الملائكة بحراستهم والدفاع عنهم وتقوية معنوياتهم ودعوتهم إلى الاستقامة والمقاومة.

أيّها العزيز! إذا وجدت نفسك متورطاً في مثل هذه الظروف والتحديات فعليك بتفويض أمرك إلى الله والتوكل عليه ولا تستوحش من (كثرة الخبيث) واكتب لنفسك النجاح والموفقية في هذا الامتحان وانتفع من بركاته ومعطياته الكثيرة وقل: ﴿لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَو أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

إنّ هذا الامتحان الإلهي لاسيّما بالنسبة لشبابنا الأعزاء يتضمن

---

١. سورة الزخرف، الآية ٢٣.

٢. سورة المجادلة، الآية ٢٢.

٣. سورة المائدة، الآية ١٠٠.

أهميّة خاصة في عصرنا الحاضر، فهؤلاء الشباب هم الذين يمكنهم الخروج من هذا الامتحان الكبير بنجاح ويركبوا أجنحة ملائكة الرحمة ويحلّقوا في أجواء سماء القرب الإلهي.

٧. البحث عن الضالّة الحقيقية!

إنّ كل شخص ينظر إلى قلبه ووجدانه يرى أنّه يبحث عن ضالة معينة، ولكنّه نظراً لعدم تحليله الصائب لهذه الضالة المنشودة فكأنّه يبحث عنها في كل شيء وفي كل مكان.

فأحياناً تكون ضالته الأصلية هي المال والثروة بحيث لو استطاع أن يجمع منها الشيء الكثير فإنّه سيكون أسعد الناس، ولكنه عندما ينال الثروة يجد نفسه في مواجهة عيون الطامعين وألسنة المتملقين ومصائد السرّاق ويعيش دائماً كيد الحسّاد، وأحياناً يجد في نفسه الخوف والقلق في حفظها وانفاق المال الكثير في سبيل حراستها والاحتفاظ بها فيعيش الاضطراب والقلق من ذلك أكثر ممّا كان يعيشه في سبيل تحصيلها.

وهناك يفهم أنّه أخطأ الطريق إلى ضالته المنشودة وأنّها لا تتمثل بالثروة والمال.

وأحياناً يتصور أنّه إذا حصل على زوجة ذات جمال ومال وثروة فإنّه سيجبر ما يحتاجه من السعادة والرفاهية، ولكن عندما يحصل

على هذا الهدف وتتجسد أمامه الاخطار والمشاكل الناشئة من الاحتفاظ بهذه الزوجة وتحمل توقعاتها الكثيرة ومطالبها الشاقة فإنّه يجد نفسه في ورطة جديدة وأنّه كان يعيش السراب في أحلام وأوهام.

أمّا الشهرة أو المكانة الاجتماعية فانّها تتجّلى من بعيد بأجمل صورة بحيث تسلب قلوب المشتاقين ويتصورون أنّهم أسعد الناس في حال حصولهم عليها، في حين أنّ المشاكل والأزمات الناشئة والمسؤوليات الإلهيّة والإنسانية المترتبة على الشهرة والمقام أكثر من الجميع.

لقد كان المرجع الروحاني والمعنوي الكبير المرحوم آية الله العظمى السيد البروجردي في أوج عظمة مقامه ومرجعيّته لعالم التشيع وانفراده بهذا المقام في ذلك الزمان، عندما رأى مشكلات الشهرة والمقام قال ما مضمونه: «إذا كان الشخص يتحرك في سبيل تحصيل مقام مثل مقامي ولكن لم يكن الباعث له هو الله تعالى بل بدافع الأهواء والنوازع النفسية فلا تشكّوا في قلّة عقله!».

أجل، فانّ جميع هذه الأُمور كلها سراب وأوهام لا أكثر بحيث عندما يصل إليها الإنسان فإنّه ليس فقط لا يتمكن من إرواء نفسه وإطفاء عطشه، بل سيزداد عطشاً في صحراء الحياة المحرقة وكما يقول القرآن الكريم: ﴿أَعۡمَالُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ

إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً...﴾[١].

هل يعقل في حكمة الخالق أنّ الإنسان الذي يعيش هذا الإحساس والشعور الباطني ولكنّه لا يمكنه العثور على ضالته في أي مكان؟ لا شك بأنّه لا معنى للعطش بدون وجود ماء، وكذلك لا يمكن في دائرة الحكمة الإلهيّة وجود ماء بدون الإحساس بالعطش.

أجل، إنّ الإنسان الفطن سيدرك تدريجياً أنّ ضالته التي يبحث عنها ولا يجدها، موجودة في أعماق نفسه وفي محتواه الداخلي وقد استوعبت جميع وجوده، وهي أقرب إليه من حبل الوريد ولكنّه غافل عنها: ﴿وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢].

أجل، إنّ ضالةالإنسان موجودة معه في كل مكان وزمان ولكنّه محجوب عنها بحجاب الابتلاءات الطبيعية التي تمنع من رؤية جمال هذه الحقيقة والتحرك في الطريق الموصل إليها.

أجل أيّها العزيز! إنّ ضالتك موجودة عندك، فعليك السعي لإزالة الحجب والأستار عنها ليتمتع قلبك بجمالها وترتوي روحك من عذب مائها فتشعر بالسكينة والطمأنينة الواقعية والبهجة الكاملة في جميع وجودك وترى أنّ جنود السماء والأرض تسعى في خدمتك، إنّ ضالتك الحقيقة هي وجودك الأصيل الذي يشمل جميع أركان عالم

---

١. سورة النور، الآية ٣٩.

٢. سورة ق، الآية ١٦.

الوجود:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[1].

٨. مكافحة الوسواس!

أيّها الأعزاء! كان حديثنا عن السكينة والطمأنينة للروح والنفس، وهي الجوهرة الغالية التي سعى لتحصيلها خليل الله ﷺ عندما نظر إلى ملكوت السموات والأرض وأراد معرفة أسرار هذا العالم العجيب:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[2].

وقد فسّرت الطيور الأربعة، كما ذكره بعض أرباب التفسير، بأنّ كل واحد منها يعبر عن مظهر من الصفات الذميمة في الإنسان (فالطاووس مظهر العجب والغرور، والديك مظهر الرغبة الجنسية، والحمامة مظهر اللهو واللعب، و الغراب مظهر الطمع والآمال الطويلة!) فكان أن ذبحها وخلط لحومها ثم وضعها على الجبال لينال بعد إحيائها مرتبة الاطمئنان القلبي ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[3].

كيف ينال الإنسان هذه الدرّة اليتيمة، أي السكينة القلبية

---

١. سورة الفتح، الآية ٤.

٢. سورة الأنعام، الآية ٧٥.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

والاطمئنان الروحي، وأين يبحث عن هذه الحالة الملكوتية؟

أقول لكم إنّ طريق تحصيل هذه الملكة الإلهيّة سهل ويسير جدّاً وفي نفس الوقت صعب جدّاً. ولتقريب هذا المعنى نذكر له مثالاً:

هل ركبتم الطائرة في أجواء غائمة؟ عندما تحلّق الطائرة تدريجياً متّجهة إلى عنان السماء وتمرّ بهدوء من بين السحب الكثيفة لتحلق فوقها، هناك يجد المسافر الشمس مشرقة بجلال كامل وترسل أشعتها إلى كل مكان، هناك لا يوجد خبر عن السحاب طيلة أيّام السنة ولا يحجب الشمس شيءٌ أبداً، لأنّ ذلك المكان أعلى من السحاب.

إنّ الذات المقدّسة وخالق عالم الوجود هو نور العالم وشمسه المشرقة التي ترسل أشعتها ونورها إلى كل مكان، وأمّا السحاب الذي يحجب الإنسان عن رؤية هذا النور الإلهي فهو الأعمال السيئة والآمال الدنيئة والنوازع النفسانية التي تمنع الإنسان من رؤية جمال الذات المقدّسة، فهذه الحجب هي أعمالنا السيئة التي تغطي أبصارنا وقلوبنا.

وكما يقول إمام العارفين: «إِنَّكَ لاٰ تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إلاّٰ أَنْ تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمٰالُ دُونَك»[1].

هذه الحجب قد تراكمت على القلب بفعل الشياطين التي نفذت إلى قلوبنا وأنفسنا بسبب أعمالنا كما ورد في الحديث الشريف: «لَوْلاٰ

---

١. دعاء ابو حمزة الثمالي.

أَنَّ الشَّياطِينَ يَحُومُونَ عَلى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلىٰ مَلَكُوتِ السَّماواتِ»[١].

هذه الحجب بمثابة أوثان متنوعة صنعناها بأيدينا وانطلقنا لاشباع رغباتنا وأهوائنا ووضعناها في كعبة القلب، كما يقول بعض الأكابر: «كُلُّ ما شَغَلَكَ عَنِ اللهِ فَهُوَ صَنَمُك».

أيّها العزيز! إحمل فأس الايمان والتقوى واهجم على هذه الأصنام الباطنية بروح إبراهيمية وحطّمها لتتمكن من العروج إلى ملكوت السموات والنظر إلى ذلك العالم ولتكون من الموقنين كما كان إبراهيم كذلك: ﴿... وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٢].

إنّ غبار الأهواء والشهوات لوّث أجواء أرواحنا ومنع بصائرنا من رؤية عالم الملكوت، فتحرك بهمّة وعزم لتطهير هذه الشوائب وكنس هذا الغبار من صفحة القلب.

والعجيب أنّ الله تعالى هو أقرب إلينا من أنفسنا ومع ذلك نحن نعيش الابتعاد عنه!! إنّ الله موجود معنا فلماذا نعيش الغفلة عنه؟ أجل فكما يقول المثل: «إنّ الصاحب في الدار ونحن ندور حول العالم».

هذه هي مشكلتنا الكبيرة، وهذا هو ما نعيشه من الحرمان والألم وجفاف الروح رغم أنّ طريق العلاج سهل وميسور.

---

١. بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٦٣.

٢. سورة الأنعام، الآية ٧٥.

٩. الحجاب الأعظم!

ما هو أعظم حجاب يمنع الإنسان من لقاء الله؟

بديهي أنّه لا يوجد لدينا حجاب أسوأ وأشدّ من حجاب الأنانية والعجب وحبّ الذات، وكما يعبّر بعض الأكابر من علماء الأخلاق أنّ «الأنانية» تعد أكبر مانع يصد السالكين عن طريق الله. والطريق لنيل مرتبة القرب الإلهي وتحصيل لقاء الله يتمثل في قلع شجرة «الأنانية» من جذورها، ولكنّ هذا العمل ليس باليسير على الإنسان لأنّ ذلك يعني انفصال الإنسان عن ذاته ونفسه.

أنت الحجاب على نفسك... فقم من مكانك يا حافظ.

بيدَ أنّه يتيسر بالممارسة والتمرين وتهذيب النفس والاستمداد من الحقّ والتوسّل بذيل عنايات أولياء الله، أجل فمادامت حشائش وأشواك الرغبات والميول النفسانية وحبّ غير الله في قلب الإنسان، فانّ نبتة العشق لله والشوق إليه لا تنمو في هذا المحيط.

ويُنقل عن حالات أحد أولياء الله أنّه كان في شبابه من أبطال المصارعة، وفي أحد الأيّام اقترحوا عليه أن يتصارع مع بطل معروف في تلك الديار.

وعندما تهيأت حلبة السباق وحضر الناس وأصحاب المقامات الرسمية للتفرج على هذه المصارعة المثيرة بين هذين البطلين واستعداد كل واحد منهما لإجراء هذه المصارعة، جاءت امرأة عجوز،

وقد اتّضح بعد ذلك أنّها والدة ذلك البطل المعروف، إلى هـذا البـطل الشاب وأسرت في أذنه كلمات وذهبت إلى حالها، قالت: أيّها الشاب إنّ القرائن تشير إلىٰ أنّك ستنتصر في هـذه المـصارعة، ولكـن هـل ترضى بأن ينقطع رزقنا وتنفضح أمام الملأ بـعد كـل هـذه الأعـوام المتمادية؟

شعر البطل الشاب في أعماق نفسه بتصادم الأنـانية والإنسـانية، فإمّا الشهرة، أو سحق الذات والإعراض عن المقام وما يحفل به من معطيات ومزايا كثيرة، إلّا أنّه صمم أخيراً على رأيـه، وفـي إحـدى اللحظات الحسـاسة من المصارعة أهمل نفسه ليتفوق غـريمه عـليه ويلصق ظهره بالأرض وليفوز بالجائزة.

ولنستمع الآن إلى ما يقوله هذا الشاب بعد ذلك:

«في اللحظة التي أحسست بظهري قد التصق بـالتراب رأيت أنّ الحجب قد زالت عن عيني وبانت لقلبي تجلّيات الحقّ، فـرأيت مـا ينبغي رؤيته في عالم القلب والبصيرة».

أجل، فبتحطيم هذا الصنم تتجلّى معالم التوحيد ومظاهر الربوبية.

١٠. ترنيمات العشّاق

أيّها العزيز! من أجل سلوك هذا الطريق عليك في البداية بالتمسك بلطف الله تعالى وبـالتوسل بـالأذكـار الواردة فـي القـرآن الكـريم

وأحاديث المعصومين﴿ع﴾ لتقترب تدريجياً إلى الذات المقدّسة ولا سيّما أنّ هذه الأذكار تستبطن مفاهيم العبودية والفقر في واقع الإنسان للذات المقدّسة، وقل حينها كما قال موسى﴿ع﴾:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1].

و كما قال أيوب﴿ع﴾:

﴿إِذْ نادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2].

وكما قال نوح﴿ع﴾:

﴿فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[3].

أي مغلوب هوى النفس وأنت قادر على الانتقام من هذه النفس الأمّارة.

وكما قال يوسف﴿ع﴾:

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[4].

وكما قال طالوت وأصحابه:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[5].

---

١. سورة القصص، الآية ٢٤.
٢. سورة الأنبياء، الآية ٨٣.
٣. سورة القمر، الآية ١٠.
٤. سورة يوسف، الآية ١٠١.
٥. سورة البقرة، الآية ٢٥٠.

وكما قال أصحاب العقول وأولو الألباب:

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[1].

في كل واحد من هذه الأدعية بحر من المعارف الإلهية والأنوار الربانية حيث تحكي عن فوارة العشق والحبّ لخالق عالم الوجود ومبدأ الكائنات. هذا العشق هو الذي يقرّب الإنسان في كل الأوقات إلى مصدر النور والذات المقدّسة.

عليك بالاستفادة من أذكار المعصومين عليهم السلام وزيارة عاشوراء وزيارة آل ياسين ودعاء الصباح وكميل والندبة وأمثالها. بل يمكنك اقتطاف عبارات كثيرة من دعاء عرفة لتدعو بها في صلاتك ولا تنسَ صلاة الليل وإن كانت خفيفة وبدون زوائد وتفاصيل، فانّها على أيّة حال الكيمياء الأكبر والاكسير الأعظم للسالك في طريق الكمال المعنوي، وبدونها لا يصل الإنسان إلى أيّة مرتبة أو منزل إلّا نادراً. وعليك مد يد العون للمحتاجين وقضاء حوائجهم (عن أي نعمة أمكنك ذلك)، فانّ لذلك تأثير عجيب على الروح ويساهم في وصولك إلى مقامات معنوية عالية. فلا يخلو يومك من تقديم خدمة أو خدمات ولو بسيطة للناس.

يجب أن تحقق في نفسك وقلبك أجواء هذه الأدعية والمناجاة

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٩٣.

وتمد يدك نحو مصدر الفيض ومبدأ النعمة فانّ القلب الذي يخلو من ذكره هو قلب ميت لا روح فيه.

ثم تمسك بالعروة الوثقى للأطهار المعصومين (الأنبياء والأئمةعليهم السلام) ومن تابعهم في مسيرتهم الإلهيّة، أي العلماء الكبار والسالكين طريق المعرفة بالله، وعليك بالتفكر في حالاتهم ليمتلىء قلبك من نور باطنهم وتشرق روحك من صفاء أرواحهم على أساس أصل المحاكات والسنخية وتتبعهم في حركتهم ومسيرتهم.

وفي الواقع أنّ الاستماع إلى تاريخ الأعاظم والاهتمام بمطالعة سيرتهم بمثابة الجلوس معهم وصحبتهم في أسفارهم، كما أنّ مطالعة سيرة الأشخاص المنبوذين وأهل الشر بمثابة الجلوس معهم ومصاحبتهم.

وأحدهما يزيد في عقل الإنسان ودينه، والآخر يورثه الظلمة والحيرة والوقوع في منزلقات الخطيئة.

ولا أنسى أنني في أحد أسفاري لزيارة الإمام ثامن الحجج الرضاعليه السلام في مشهد وجدت فراغاً من الوقت وبدأت بمطالعة سيرة أحد العرفاء الإسلاميين المعاصرين المليئة بالنقاط المضيئة والعبر المفيدة، فكنت أقرأ بخيال بارد وفجأة شعرت بثورة في أعماقي لم أجد لها مثيلاً طيلة عمري.

رأيت نفسي كأنني أعيش في عالم جديد يصطبغ كل شيء فيه

بصبغة الله، فلم أُفكر في شيء سوى بحالة العشق إلى الله، وبمجرّد أن توجهت بالدعاء وإذا بالدموع تنهمر من عينيَّ كالسيل ولكن مع الأسف لم تستمر هذه الحالة عندي سوى عدّة أسابيع، وعندما تغيرت الظروف تبدلت معها تلك الجذبة المعنوية، وليت أنّ تلك الحالة ثابتة حيث إنّ لحظة واحدة منها أثمن من هذا العالم بأجمعه.

وآخر كلام عن آخر مانع!

إنّ أعقد مشكلة في طريق السالكين إلى الله والمسافرين في طريق الإخلاص والعشق المعنوي، وأخطر مانع يمنع الإنسان من مواصلة طريق الكمال الإلهي، هو التلوث بالشرك والرياء.

إنّ الأحاديث الشريفة والمعروفة تورث الإنسان اليقظة وتجعله يغرق في دوامة التفكير، من قبيل: «إِنَّ الشِّرْكَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلىٰ صَفْوَانَةٍ سَوداء فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاء»[1].

وكذلك ورد: «هَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلّا الْعَابِدُونَ وَهَلَكَ الْعَابِدُونَ إِلاَّ الْعَالِمُونَ... وَهَلَكَ الصَّادِقُونَ إِلّا الْمخْلِصُونَ... وَإِنَّ الْمُوقِنِينَ لَعَلىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ»[2].

ولكن التمسّك برحمة الله العامة والخاصة وكذلك ما توحي به

---

١. بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٥٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٢٤٥.

مضامين الآيات الشريفة: ﴿إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

يحيي في القلوب نور الأمل ويمنح الروح الجافة حياة جديدة وطراوة لطيفة.

أجل، فالإخلاص يزيد في ثواب الانفاق سبعمائة ضعفاً وأكثر ويسقي سنابل الايمان: ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾[2].

عندما ينزل مطر الإخلاص على أرض القلب وبحكم قوله تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾[3] فانّ ثمرات الايمان تتضاعف في واقع الإنسان وتتجلى على سلوكياته وحركاته.

ولكن تحصيل ملكة الإخلاص ليس باليسير وإن كان الطريق إليه واضحاً ومشرقاً ولكنّ سلوك هذا الطريق تكتنفه الكثير من الصعوبات والمشاكل.

فكلما كثرت وازدادت معرفتنا بصفات الجمال والجلال الإلهي وتعمقت فينا معرفة قدرة الله تعالى وعلمه فانّ إخلاصنا سيزداد ويشتد تبعاً لذلك.

فإذا علمنا أنّ العزّة والذلة بيده تعالى وأنّ مفتاح الخيرات في كفّه:

---

١. سورة يوسف، الآية ٨٧.

٢. سورة البقرة، الآية ٢٦١.

٣. سورة البقرة، الآية ٢٦٥.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] فلا يبقى مسوغ لخلط العمل بالشرك والرياء، أو التوجه في طلب حاجاتنا إلى غيره سبحانه، أو طلب العزّة والكرامة من المخلوقين.

عندما نعلم أنّ كل مخلوق لا يتمكن من القيام بشيء إلّا بإرادته ومشيئته سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2] فلا معنى لأن نتوجه بقلوبنا إلى غيره.

وعندما نعلم يقيناً أنّه أعلم بنا من أنفسنا ويعلم حركاتنا وسكناتنا: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾[3] فسوف نتحرك حينئذٍ من موقع المراقبة والحذر في كل تصرفاتنا.

أجل، إذا آمنا وصدقنا بجميع هذه الأُمور بكل وجودنا فإنّنا سنعبر من مضيق الإخلاص الصعب والخطر بسلامة بشرط أن نسلّم أنفسنا إلىٰ الله تعالىٰ بعيداً عن بريق الدنيا الخادع: «ربِّ لاَ تَكِلْنِي إِلىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَينٍ أَبَداً لا أَقَلَّ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ»[4].

أيّها العزيز! إنّ تفويض الأمر إلى الله لا يعني ترك السعي والحركة في خط الحقّ والايمان وتهذيب النفس، بل عليك القيام بما يمكنك

---

١. سورة آل عمران، الآية ٢٦.
٢. سورة الانسان، آية ٣٠.
٣. سورة غافر، الآية ١٩.
٤. بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٨٧، ح ٦.

على مستوى تهذيب وتزكية النـفس، وأمّـا مـا خـرج مـن طـاقتك وقدرتك ففوّض أمرك فيه إلى الله واعتمد عليه في جـميع حـالاتك وليكن ذكرك الدائم في قلبك وعلى لسانك هو:

«إلهي قَوِّ عَلى خِدْمَتِكَ جَوارحي

وَاشْدُدْ عَلَى العَزِيمَةِ جَوانِحي

وَهَبْ لِيَ الجِدَّ في خَشْيَتِكَ

وَالدَّوامَ فِي الاتِّصالِ بِخِدْمَتِك»[١].

وأخيراً هذا هو طريق النجاة وذلك طريق الغي والانحطاط. فاذا كنت رجل الهمّة فعليك بأن تحزم ثيابك.

والحمد لله رب العالمين.

---

١. مقطع من دعاء كميل.

الفهرس

تشويق الأساتذة والعلماء / ٣١

الدين والثورة / ٣٧

الكتابة والخطابة / ٧٥

سلامة الجسم والروح / ١١٧

رمز الموفّقية / ١٢٣

الآمال والطموحات / ١٢٧

الموعظة والنصيحة / ١٣١